أَبانا...

طبعة أولى

٢٠٠٥

*

منشورات المكتبة البولسية

جونيه – شارع القدّيس بولس – ص.ب. ١٢٥

هاتف: ٩١١٥٦١ – ٠٩/٩٣٣٠٥٢ – فاكس: ٠٩/٦٤٣٨٨٦

بيروت – شارع لبنان – هاتف: ٠١/٤٤٨٨٠٦ – تلفاكس: ٠١/٤٤٤٩٧٣

زحْلة – الحمراء بلازا – تلفاكس: ٠٨/٨١٢٨٠٧

أَبَانَا الَّذِي فِي
السَّمَوَاتِ ۞ لِيَتَقَدَّسْ
إِسْمُكَ ۞ لِتَاتِ مَلَكُوتُكَ ۞
لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي
السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ ۞
خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا فِي
الْيَوْمِ ۞ وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا
كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ لِمَنْ أَخْطَأَ
إِلَيْنَا ۞ وَلَا تُدْخِلْنَا
التَّجَارِبَ ۞ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ
الشِّرِّيرِ ۞ آمِينَ ۞

اللوحات مأخوذة من كنيسة الأبانا على
جبل الزيتون في القدس العربيّة.

سلسلة
صفحات روحيّة
٢٦

أَبانا...

الأُستاذ أديب مصلح

٢٠٠٥

مقدّمة

أَبانا!

كتاب آخر جديد، حتّى في منشورات المكتبة البولسيّة، بهذا العنوان! فلِمَ طباعة هذا الكتاب أيضًا؟ ألم نستوفِ هذه الصلاة حقّها بعد؟

إنّ الصلاة الربّيّة هي من آيات الإنجيل المقدّس. إذن، لقد كُتِبَت من أجل الجميع، ولكلّ زمان. وكلّ من يقرأ هذه الآيات، وكلّ مرّة يقرأها، يجد فيها غذاءً جديدًا لنفسه.

والصلاة الربّيّة هي الصلاة الوحيدة التي علّمَناها السيّد المسيح. فهي إذن أكثر صلاة تستحقّ أن نتلوها ونتأمّل بها في حياتنا.

والصلاة الربّيّة هي حديث مع الله. ومتى كان الحديث ينتهي بين المحبّ والمحبوب؟ فالمحبّ لا ينى يستنبط كلّ جديد ليتحدّث به مع المحبوب.

لنرَ في هذا الكتيّب كيف يتأمّل الأديب الكبير الأستاذ أديب مصلح في الصلاة التي علّمَناها السيّد المسيح.

الإدارة

-١-

الصلاة التي لقّنها يسوع

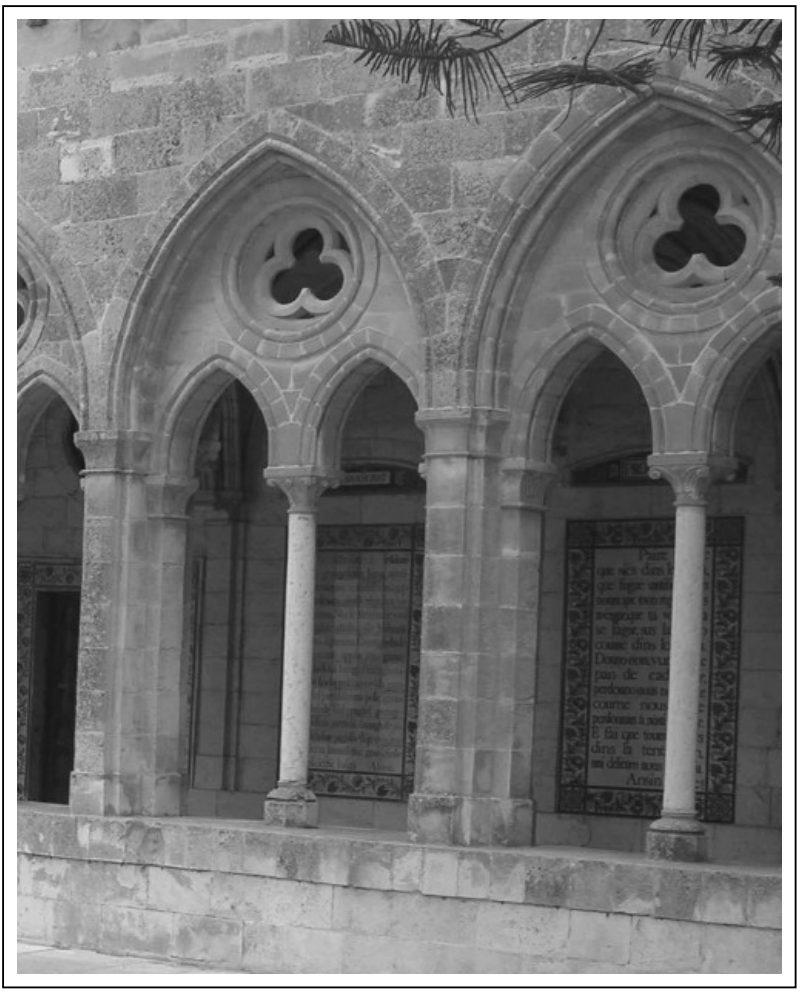

-١-

الصلاة التي لقّنها يسوع

الصلاة التي لقّنها يسوع أتتنا من فوق، من لدن أبي الأنوار، مثل كلّ عطيّةٍ ممتازة. إنّها عمل الله.

يقول جان غيتّون إنّها «صلاةٌ لا تشبه أيّة صلاةٍ أُخرى في بساطتها، وإنسانيّتها، وعمقها، ويقينها».

إنّها تمتاز بعمقٍ سحيق، رغم سرعتها، وكثافتها، واقتضابها. تبدأ بالتوجّه إلى الله، وتسأله أن يكون أكثر ألوهةً، وتلتمس تجلّي هذه الألوهة إلى أبعد مدًى، ثمّ تنحدر إلى الإنسان، طالبةً ما يفتقر إليه من خبزٍ، وغفرانٍ، وسندٍ يقيه الزلل. ولكنّها تُختزَل بالكلمة التي تستهلّها: «أبانا».

إنّها أطول رحلةٍ من طرف الدنيا إلى طرفها الآخر. من خلالها نستشفّ ضفّة الحياة الأُخرى. ولسنا، فيها وحيدين، بل يواكبنا جمعٌ غفيرٌ منذ الأزل، وفي كلّ مكان. إنّها أوسع الآفاق رحابةً، وأشدّ التطلّعات زخمًا واندفاعًا.

إنّها أكثر من طلبات. إنّها تواصلٌ مع الآب السماويّ.

لقد ادّعى كتّابٌ يهودٌ أنّ يسوع لم يأتِ بجديد. فمعظم فقرات هذه الصلاة مستمدّةٌ من كتب العهد القديم، حيث كانت مبعثرةً، جافّةً، فاقدة الحياة. ولكنّ يسوع، عندما جمَعها في دعاءٍ واحد، أسبغ عليها روحه الفذّ، ونهد بها إلى مراقٍ من السموّ فريدة.

غير أنّ هذه الصلاة ستظلّ عقيمة، عديمة الجدوى، ما لم يلتزم المصلّي بما تقتضيه من مواقف. فالله والإنسان فيها مشتركان، متضامنان. فلا يسوغ تبذير هذه الصلاة وهدرها، فهي غير قابلةٍ «للاستعمال» في أغراضٍ خاصّة، أو للتحدّث بها إلى الله، في غير شؤون الله. بل عليها أن تفيض من حنايانا، وترعد في صدورنا كالبركان. ومن ذا الذي يجرؤ على استخدام حمم البركان للاستعاضة بها عن عود ثقابٍ يفتقر إليه؟

إنّ صلاة «أبانا» تثقّفنا، وبتثقيفنا تبلسم جراحنا. فإن كان بيننا من يدّعون الكمال، شُفوا من ادّعائهم، وإن كان من يصبون إلى القداسة، ويشقون لعجزهم عن بلوغها، فهم سيُشفون من شقائهم. وإن كان، ثمّة، من هم غارقون في الشرّ والظلمة، فسينبعث فيهم النور والأمل.

إنّ الصلاة الخالية من الحبّ والإيمان، تبدو وكأنّها تقول: «أبانا، امكث في سمائك، وليتقدّس اسمي واسم الجماعة التي أنتمي إليها، ولتكن لنا السيادة. وخاصّةً، فلتتمّ مشيئتنا، فنحن لا نعرف، أبدًا، ما تخبئ لنا إرادتك. ولكنّنا مطمئنّون إلى إرادتنا ...» صلاة تحاول وضع الله في خدمتنا، والخدمة القصوى التي قد تؤدّيها لنا، في نهاية المطاف، هي جعلنا نستغني عن الله.

لطالما جعلنا من الله صندوق إسعافٍ احتياطيًّا للطوارئ، فإذا لم تدعُ الحاجة إليه أبقيناه مغلقًا؛ أو مظلّةً قد نفتحها في اللحظة الأخيرة، راجين ألاّ نحتاج إليها أبدًا. وقد نحتاج إلى الله في الجنازات، فنستخدم اسمه لصوغ عبارات عزاء، ثمّ سرعان ما نبعد عنّا تلك الأفكار الكئيبة.

هذا الأسلوب في التفكير يقود إلى استخدام الله للظفر بما نتطلّع إليه، فإذا ما أحرزنا ما رغبنا فيه، أقصينا الله عن أفكارنا وعن أنظارنا. وأسوأ عدوّ لله هو الرغبة في الاستغناء عنه، والاكتفاء بالذات.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

على باخرة «أبانا» لا يبحر إلاّ من اعتمل فيهم هوى المستقبل، ووَلهُ الآفاق البعيدة اللامحدودة.

إنّها صلاة احتجاج، ونفاد صبر، واستفزاز، إنّها كالجوع الذي يوقظ جسدنا، ويعذّبه. إنّها طاقة الرجاء الأساسيّة. إنّها التماس اللّه، المقياس الإلهيّ الذي يتجاوزنا.

الصلاة الحقّة هي الاستسلام للّه. وليس ازدهارنا المادّيّ على الأرض هو غاية ما يريده اللّه لنا. بل هو يدعونا إلى ملكوته السماويّ، ويرغب في مواكبته مشوارنا إليه.

يقول يسوع: صلّوا باسمي، صلّوا كما أُصلّي، امضوا حيث أمضي، إنّني أغادر العالم وأمضي إلى الآب، أتوافق مع مصالحه، ومشيئته، وحبّه. فهو قد أمعن في حبّ العالم، بحيث أرسلني إليه. فرح اللّه هو أن تكونوا سعداء، فتمنّوا هذا الفرح؛ وحياة اللّه هي أن تحيوا، فاختاروا هذه الحياة.

كم من أعمالٍ عظيمةٍ صنعها اللّه من أجلنا: التجسّد، والصلب، والقيامة، والعنصرة، وحلول روحه فينا، وتقدمة ذاته لنا بكلّ الوسائل!

فلنصلّ، لأنّ الصلاة ترضي اللّه، ولأنّه هو من يدعونا إليها. اللّه يفرح برؤيتنا إلى جواره، ويحبّ أن يجود علينا. فلنستجب لحنانه، ولنُسعد قلبَه!

الصلاة تنتزعنا من ذاتنا، كي تربطنا باللّه. إنّها تميتنا عن حياتنا الخاصّة كي نتلقّى حياته. وتنسينا أسلوبنا في الصلاة، كي نتعلّم أسلوبه. وإذا ما صلّينا على غرار يسوع، فستُلبّى دعواتنا.

فلنرغب في ما يرغب فيه الابن: الآب. ولنطلب ما يطلبه الابن: ملكوت الآب. وكلّ ما نطلبه باسم يسوع نناله.

ينبغي أن ندعو الآب باسم يسوع، باسم الروح الذي يهتف فينا: «أبّا،

أيّها الآب». الصلاة الحقّة هي التي يصلّيها اللّه فينا، حيث ندعه يعمل، ونستسلم لعمله فينا.

مسؤوليّةٌ كبرى تترتّب علينا. فكلّما صلّينا، قرّبنا موعد مكلوت اللّه، وأسهمنا في تقديس اسمه، وأعدنا إلى الآب أبناءه، ونفّذنا مشيئته.

وعندما نشرع بالصلاة فلنطرب ونتهلّل، لأنّ اللّه شرع يعمل فينا، ناسفًا مقاومتنا الطبيعيَّة له.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

إنّ روعة هذه الصلاة تتجلّى، عندما نتصوّر يسوع يتلوها بنفسه، وبأيّ حنانٍ كان يطلب تقديس اسم أبيه، واستقرار ملكوته، وحلول مشيئته. كان يطلب ذلك باسمه، وباسم البشريّة التي هو رأسها، وأخوها البكر.

أمّا القسم الثاني منها فكان يرفعه باسم الإنسانيّة الخاطئة التي جاء، من أجلها، وسيطًا وفاديًا.

كان يطلب الخبز لنفسه، طالما كان على الأرض، وللبشريّة كلّها، وخاصّةً لكلّ جائع.

أمّا الطلبات الأخرى فلم يكن قادرًا على قولها لنفسه، فلا خطيئة عليه يستغفر عنها، ولا خوف عليه من الانهيار أمام التجربة، ولا حاجة به إلى من ينجّيه من الشرّ، فقد حطّم الشرّ وغلبه، وغلب أميره.

الصلاة الربّيّة أصدق صلاة، وأحلاها على قلب الآب. وحريٌّ بشعلتها أن تظلّ، أبدًا، مضطرمة في نفوسنا.

الصلاة غير ممكنة إن لم يكن يسوع، في القلب، مصدرها، وإن لم تكن صورته، في أعماق النفس، متوهّجة.

وعندما تتغلغل معاني هذه الصلاة في تضاعيف النفس، تمسي حتّى الصلاة بلا كلام، مستقاةً منها، وترديدًا صامتًا لها، وتمثّلاً بقائلها الأوّل، يسوع.

- ٢ -

أبانا ...

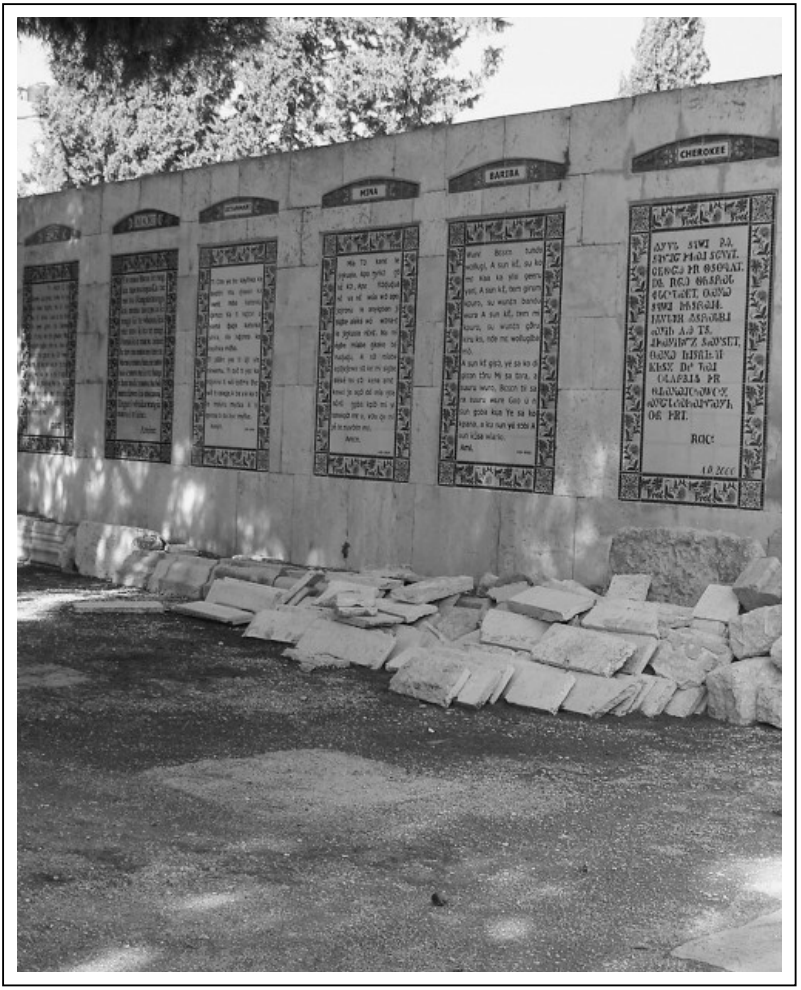

- ٢ -

أبانا ...

من فم يسوع أتانا اليقين بأنّ لنا، في اللّه، أبًا رؤوفًا، لا خالقًا فحسب. والأب، هنا، ليس كما تفهمه الفلسفات القديمة، أي الأصل، وسبب الوجود، ولا تكتنف أبوّته الحُجُب، على نحو ما يُستشَفّ في العهد القديم.

فيسوع هو أوّل من كشف أنّ اللّه، للبشر، أبٌ عطوف، طيبته وعطفه لا يعرفان حدودًا، وأنّه أبٌ لكلّ الناس، لا لشعبٍ واحدٍ مختار، وأنّ البشر، بفضل تلك الأبوّة، إخوةٌ في ما بينهم، وشركاء في حياة اللّه، وخيراته، وغبطته، وفي ميراث ألوهته، بحيث يتأهّلون ليكونوا كاملين كما إنّه هو كامل.

بفضل يسوع لم يعد اللّه ذلك الجبّار المتعالي، المرعب، بل صار أبًا، وما حُبّ الآباء البشريّين لأبنائهم سوى قَبَسٍ من حبّ الآب السماويّ، فاللّه محبّةٌ مطلقة، وعطاءٌ بلا حدود.

لا يسع اللّه أن يكون إلاّ أبًا، لأنّه، بطبيعته، حبٌّ وعطاء. والحبّ منعه أن يكون وحيدًا، فاتّخذ له، من ذاته، ابنًا يحبّه، والحبّ الذي جمعهما هو روحهما. وقد وهب كلّ ذاته للابن، بلا تحفّظ، لأنّه والابن واحد. في ابنه عرف ذاته، وأحبّ ذاته، فهو صورته الوحيدة، وإشعاع مجده، ودمغة كيانه.

الآب إلهٌ يحيا بحبّ، ويحيي، ويعلّم الحبّ. واعترافنا باللّه أبًا يوجز كلّ إيماننا المسيحيّ.

علينا، إذن، أن نكلّم اللّه، قائلين «أبانا» بكلّ بساطة، وبمثل تلك الثقة المطلقة التي كان يسوع وحده يملكها، أن ندخل إلى مملكة الآب، كما ندخل إلى بيتنا.

لقد خلق اللّه بحبّ، لكي يعطي، ويهب ذاته، لكي يحيي آخرين بحياته، ويفرحهم بفرحه، ولكي توجد كائنات تعرف فرح الحياة والحبّ. ولأنّه أبٌ أراد أن يعطينا كلّ شيء. لكي نصير، على غراره ،عطاءً، ونعهد متعة العطاء، ونخبر فرح اللّه.

وإن كان خيرة الآباء يهبون كلّ ما يسعهم، في حدود ما يملكون، فاللّه، مالك كلّ شيء، يهبنا كلّ ما نفتقر إليه، إن نحن أحسنّا السؤال.

اللّه فيضٌ وتواصلٌ وبذلٌ للذات. وكونه أبًا جعله خالقًا. وهو ما كان ليخلقنا لو لم يكن لـه ابنٌ، وقد خلقنا على صورة ابنه، وصار «أبانا».

مجرّد قولنا «أبانا» يعني أنّنا غدونا ليسوع إخوةً، وللّه أبناءً. فيسوع قد صار لنا أخًا كي يشركنا في بنوّته للّه الآب. وحده يسوع يستطيع أن يقول «أبي» لأنّه، بطبيعته، ابن اللّه الوحيد. أمّا نحن فأبناء اللّه بالتبنّي، بصفتنا إخوة يسوع، وأعضاء في جسده السرّيّ، وجزءًا من البشريّة التي افتداها. لذلك، تعبيرًا عن تضامننا مع هذه الأُخوّة، وهذه البنوّة، نهتف، «أبانا»، أي يا من نمثّل له ما يمثّله لـه يسوع نفسه، من يوثّق اسمُه، بينه وبيننا، علاقةً من الحميميّة بحيث يتعذّر فهمه بمعزلٍ عنّا، ومن يعرض علينا حياةً جديدةً يتعذّر، معها، فهمنا لنفوسنا، بمعزلٍ عنه.

لايستطيع أحدٌ أن يدعو اللّه «أبًا» ما لم يتكلّم باسم يسوع. من خلال تضرّعات الملايين الهادرة، أو من صمت زنزانة راهب، أو من سرير مريضٍ مقعد، تتصاعد الكلمات عينها، والصرخات عينها، نابعةً من معينٍ

واحد، معبّرةً عن الإيمان الواحد، والحبّ الواحد، بصوتٍ واحد، هو صوت يسوع.

الأبوّة مبادرة حبّ، هي بذلٌ للذات. هي حبّ آخر قبل أن يحبّك، لا بل قبل أن يوجد. هي حبّه مجّانًا قبل أن يفعل لك شيئًا. وهذا ما عبّر عنه الرسول بولس بقوله: «أمّا اللّه، فقد برهن عن محبّته لنا بأنّ المسيح قد مات عنّا، ونحن، بعدُ، خطأة» (روما ٥: ٨)

قد ننكر نحن اللّه، وننساه، ولكنّه، هو، لا ينكرنا، ولا ينسانا. وقد يحجم الإنسان عن أن يكون ابنًا، ولكنّ اللّه لا يقوى على ألاّ يكون أبًا.

لقد خُيّل إلى آدم أنّ اللّه كائنٌ مستقلٌ، منكفئٌ على ذاته. ولكي يصبح مثله، تمرّد وعصاه. وعندما شاء اللّه أن يُعلن ذاته، أعلن أنّه حبٌّ، وعطفٌ، ومشاركةٌ، وبذل ذاتٍ حتّى الموت.

ونحن نكرّر خطيئة آدم، عندما نلتمس السعادة في الثروة، والاستقلاليّة عن اللّه، والاعتماد على ممتلكاتنا، وفي إرضاء ميولنا، ونشدان متعتنا. هذا كلّه ينافي روح «أبانا».

ولكي نكون أهلاً لتلاوة «أبانا»، فلنتطلّع، دائمًا، إلى مزيدٍ من الحبّ، والحدب على الغير، والثقة باللّه والاتّكال عليه، فيكون فرحنا إبهاج الآخرين، ونسخّر مالنا للعطاء، وقدرتنا للخدمة، ونجد سعادتنا في سعادة إخوتنا. حينئذٍ نتمثّل بالآب، ونصبح له أبناء حقيقيّين. فليس آبنًا من لم يكن أخًا، وإنّما المسيحيّ يُعرف من حبّه لإخوته.

لن نعرف اللّه، ما لم نعرف الحبّ ونحيَه، وما لم نستهدِ بحبّ الآب، وما لم نُفسِح للّه مكانًا فينا.

من هو محبوبٌ، ولكنّه لا يحبّ، فقيرٌ يستأهل الرثاء، بل نصف ميّت. أمّا من يحبّ وليس محبوبًا، من يحبّ بسخاءٍ، وحرارةٍ، ووجعٍ، أكثر ممّا هو محبوب، فهذا يحاكي اللّه، وله يُعطى تذوّق حبّ اللّه، والتمثّل به.

لقد باح لنا يسوع بأنّ اللّه يحبّنا. وأنّ سعادته هي سعادة أبنائه؟ فمن ارتضى أن يكون أبًا، ارتضى الخضوع لمن يحبّ. واللّه، باختياره حبّنا، اختار أن يهبنا سلطانًا عليه.

أراد اللّه أن يحتاج إلى البشر، ولكنّ البشر يحلمون في الاستغناء عن اللّه.

الحبّ، لنا، موطن ضعف، ولكنّ هذا الضعف هو الحقل الوحيد الذي تستطيع فيه قوّة اللّه أن تنمو في حياتنا. لقد كان حبّ اللّه للعالم من العظمة بحيث ارتضى أن يُصلب على يده.

الحبّ ضربٌ من الاستسلام، واللّه استسلم للبشر، لأنّه أحبّهم، ولأنّه حبّ.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

لا يكفي أن أومن بأنّ اللّه يحبّ البشريّة، بل عليّ الإيمان بأنّ اللّه يحبّني، أنا، وبأنّ النغمة التي يرغب في أن أؤدّيها في نشيد التسبيح الذي ينتظره، إن هي غابت، فسينقص من فرحه شيء. إنّ اللّه يحبّني، شخصيًّا، بهوًى، وباستمرار. إنّه يفرح بي؛ حبّي يُبهجه، ولا مبالاتي تحزنه، ومرارتي تمزّق قلبه.

اللّه يحبّ من يستطيع أن يغدق عليهم عطاءه، من يتوقّعون منه الكثير، من يتّكلون عليه، ويتّكئون عليه، ويفرحون به، ولا يحيون إلاّ به.

وحبّ اللّه لا يحملنا، فقط، على فعل ما لم نكن لنفعله، بل على أن نصير ما لم نكن لنصبح عليه: كائنًا أكثر انفتاحًا بما لا يقاس، وأكثر مرونةً، وتسليمًا، وفرحًا، وإبهاجًا للآخرين، وإرواءً لعطشهم.

ليس لنا يدٌ في أن يكون اللّه هو الذي خلقنا. ولكن من شأننا، إلى حدٍّ بعيد، أن يكون، هو، أبانا، فعلى حدّ قول الرسول بولس: «إنّكم، جميعًا، أبناء اللّه بالإيمان بيسوع المسيح». (غلاطيه ٣: ٢٦)

للقدّيس غريغوريُس الناظينظي هذا القول المخيف: «إن كنت ملتصقًا بالمال، وإن كنت مفتونًا بغوايات العالم، وإن سعيت وراء شهوات الجسد ... فإنّي أتصوّر اللّه يجيبك بهذه الكلمات: أنت ملوَّث، وتدعو اللّه أباك، مع أنّه الأب القدّوس الذي لا يطاله فساد! أنا لستُ أرى فيك صورة طبيعتي، بل أرى فيك نقيضها. وأيّ اتّحادٍ يمكن أن يقوم بين الحياة والموت! ... إنّه لخطر أن يدعو الإنسان اللّه: «أبي» قبل أن يكون قد أصلح حياته».

ولكن ما عسانا ندعو، إذن، في ساعات الألم والندم، والأمل؟ أليس من صفات الأب الكلّيّ القدرة أن يحبّنا أيّةً كانت الهوّة التي نتردّى إليها؟

من المحقّق أنّ دعاء «أبانا» يتعارض مع إنكار حبّ اللّه، ومع خدمة العالم، والاكتفاء بالتماس المتعة.

إنّ التقشّف والتضحية من شروط هذه الصلاة. فقد قال القدّيس توما الأكوينيّ: «يوصف بالقداسة ما هو مضرّجٌ بالدم»

وخير من يقول: «أبانا»، هو من يبتغي أن يكون، بين أبناء اللّه، أكثرهم طفولةً، وبنوّةً للّه. هو من يتميّز بالتواضع الحقّ، وببساطة الإيمان.

ثمّة نمطٌ من الإيمان خاصٌّ بالطفل، بالولد. إنّه إيمانٌ بسيط، يمضي مباشرةً إلى الجوهريّ، فالطفل يعتمد، كلّيّةً، على أبيه، ولذلك يكتشف في إيمانه باللّه أُبوّة الحبّ، ويمتلك غريزة هذا الواقع الأساسيّ الذي تتعلّق به كلّ الوقائع الأخرى.

فمن كان ابن اللّه تقبّل، كلّ يومٍ، أُبوّته، وكان جميع البشر، له، إخوةً محبوبين، وبدا منعتقًا من كلّ تعصّب، وكلّ تحفّظ، والتزم، في بساطة الإيمان، بمبدأ الوحدة التي هي محبّة.

ونحن، بقولنا «أبانا»، نضع ذواتنا في موقع ولدٍ يحدّق إلى أبيه،

الذي يثق به، وجلّ ما يرغب فيه أن يكون أبوه معروفًا، محبوبًا، ممجّدًا، مكرّمًا؛ وأن يمتدّ ملكوته ليشمل الكون بأسره.

وبقولنا «أبانا»، ننبذ عنّا الكبرياء، ونستسلم لآخر، ونتّكل على من هو أكبر منّا، ونعود أبناءً صغارًا.

صلاة الوثنيّين هي زحفٌ نحو كائنٍ سامٍ، التماسًا لمطلب. ولكنّ الله الذي ندعوه عندما نتلو «أبانا» هو إلهٌ بالغ العطف والطيبة، يأتي إلينا، يبحث عنّا، يهبنا ذاته، يحبّنا. لسنا، نحن المسيحيّين، خيرًا من سوانا، ولكنّ إلهنا خيرٌ منّا. وما العبادة سوى الدهشة أمام العظائم التي يصنعها الله، مع وهن خدّامه، وحقارتهم. إنّه هو الذي يعطينا أن نحبّه، ونعرفه، وندعوه.

المؤمن الحقّ هو الموقن بأنّ الله يحبّه. وإنّ هذا الإيمان لشاقّ، لأنّنا غير جديرين بهذا الحبّ، ولأنّه مُهينٌ أن يُحَبّ المرء بلا استئهال. وإنّه لشاقٌّ، أيضًا، الإيمان بما لا نقوى على تفسيره. وعلى أيّة حال لا مبرّر للبحث عن تفسير، فألف حجّة لا تصنع يقينًا، ولكن، في الحبّ، ألف اعتراض لا تولّد شكًّا.

الله أبونا، ونحن ورثته. ولكن ما عسانا نرث منه. هو لا عهد له إلاّ بالحبّ والعطاء. وما نرثه منه هو العطاء. وعلينا متابعة عمله في العطاء وبذل الذات. ولذلك يحجم كثيرون عن تلقّي إرث الله. ولذلك نحتاج إلى الجرأة كي نقول، بصدقٍ، «أبانا».

قولنا «أبانا» يعني قبولنا أن نكون أبناء مع الابن، ومثل الابن، ولا ريب أنّ ذلك موجعٌ ومرهق، فبعد أن نقول «أبانا»، من البدهيّ أن نُفرغ ذواتنا من ذواتنا، ونخاطب الآب قائلين: إن كنت الآب فكلّ شيء بين يديك، وإن كنت الآب فأنت أبي، ولا شيء، بعدُ، يخيفني. بل أنا واثقٌ بك. قد يبدو الأمر رهيبًا، ولكنّني أعلم أنّه لن يحدث لي إلاّ كلّ

ما هو خيرٌ، ومرغوبٌ فيه. فإن كنتَ أنت من يقود، فلا خشية من تيهٍ أو ضياع. إنّني أحبّ ما تحبّ وأُريد ما تريد.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

عندما يدعو يسوع اللّه أبًا، فهو يعني أنّه خالق أُناسٍ يتمتّعون بالحرّيّة، صيغوا على صورته، وقادرين على الحبّ والمعرفة؛ وأنّه يسوس البشر بصفتهم أحرارًا دعاهم إلى حميميّته، كأبناء، وبذلك يبرز المكانة السامية التي يحتلّها الإنسان في الخليقة والدور الذي انتُدب إليه، والحيّز الذي يريد اللّه تبوّءه في حياته

اللّه أقرب إلى سكّان الأرض ممّا هم قريبون بعضهم من بعض، وهو ينفذ إلى حياتهم، وعقولهم ويقودها.

ونحن عندما نشرع بقول «أبانا»، نضع أنفسنا في حضور اللّه، بثقةٍ مطلقة في من أعطانا كلّ شيء، من يقرأ أعماقنا، ويحبّنا.

فلنسأله بثقة، موقنين أنّه سيلبّي طلبنا، ربّما على نحوٍ مختلفٍ عمّا نتمنّى، لأنّه هو ملمٌّ بحاجاتنا خيرًا منّا.

ولكن هل على اللّه أن يلبّي طلبات من لا يؤمن به، ومن لا تؤول طلباته إلاّ إلى هلاكه؟

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

ومن ثمّ فلا عجب إن علّمنا يسوع أن نصلّي بصيغة الجمع، فنقول «أبانا». حتّى إن كان أحدُنا يصلّي، وحيدًا، فهو يقول «أبانا» ولا يقول «أبي».

صيغة الجمع هذه تعني أنّنا نتوسّل باسم الإخاء البشريّ، باسم التضامن، باسم الأسرة الواحدة المنتمية إلى الأب الواحد، والمرتبطة برباط المحبّة التي جعل منها يسوع علامة أتباعه المميّزة. ولاريب أنّ لصلاة الإخوة مجتمعين وقعًا أبلغ على قلب الآب.

إنّ صيغة الجمع في «أبانا» تحمل خاتم يسوع وطابعه، فهو لن يتواسط أبدًا من أجل الأنانيّة.

وقولنا «أبانا» يعني، فضلاً عن اشتراكنا في بنوّة الأب الواحد، تضامننا في كلّ مضامير الحياة. فنحن نقول أيضًا: أعطِنا «خبزنا» واغفر «خطايانا»: أُخوّة في الخبز وفي الخطايا. فعلى كلّ ابنٍ للّه أن يوفّر الخبز لأخيه الذي يفتقر إليه، وأن يكفّر عن خطاياه.

على كلّ مؤمنٍ أن يكون متضامنًا مع جميع البشر، كي يستطيع تلاوة صلاة الحنان والتسليم: «أبانا». ولكنّ هذه الأخوّة الجديدة، لا تصبح حقيقةً إلاّ إذا كانت ثمرة «قرارٍ روحيّ»، وتسليم بمشيئة اللّه. أما قال يسوع: «إنّ من يعمل بمشيئة اللّه هو أخي، وأختي وأمّي»؟. ونحن لن نبقى إخوةً في ما بيننا، إلاّ إذا بقينا أوفياء لعمادنا، وإيماننا، ونفّذنا مشيئة اللّه.

بقولنا «أبانا»، نتّحد مع جميع من يؤمنون باللّه، أيًّا كان دينهم. وفي هذا السياق يقول بول كلوديل: «ما من نفسٍ واحدةٍ لا أتواصل معها، في هذا الركن المقدّس فيها الذي يهتف «أبانا».

بمجرّد قولنا «أبانا» نكون قد قلنا كلّ شيء، وعرفنا ما يلي هذا القول.

دعاء «أبانا» يرافقنا طيلة حياتنا حتّى ساعة موتنا. وقد قال الأب سيرتيلانج في غروب حياته: «ليس في الأمر ما يحزن. فإن نحن خفضنا رأسنا رأينا القبر. ولكن إن نحن رفعنا أبصارنا، التقينا نظرة أبينا».

الذي في السماوات

نقول «أبانا»، فنرتمي في أحضان الله، وفي لجّة حبّه. ولكنّنا لا نلبث أن نكتشف أنّه أبٌ «سماوي»، وأنّ اسمه جديرٌ بكلّ تقدير، ممّا يرقى بأبصارنا إلى سموّ الله، وتعاليه فوق عالمنا، وحدودنا، ووهننا. ويذكّرنا بأنّنا آنتُدبنا لمصيرٍ أبديّ. وهكذا يقترن الحبّ بالعبادة.

ونحن عندما نقول: «أبانا الذي في السماوات»، نحدّد، في آنٍ واحد، هويّتنا وانتماءنا، وأُسرتنا، ووطننا. فالله أبونا، وأبناؤه أسرتنا، ووطننا الحقّ هو السماء حيث يقيم.

السماء هي بيت الآب، وبيت الأب هو بيت أبنائه.

والسماء هي حيث الله، والله في كلّ مكان، يملأ الأكوان، ويغمر خلائقه.

والسماء هي نفوس القدّيسين والعاملين بمشيئة الله، حيث يقطن الثالوث وحيث الصدّيقون يحبّون الله ويطيعونه على نحوٍ مطلقٍ كامل؛ حيث الخليقة تدخل في حرّيّة أبناء الله ومجدهم، حيث بطلت الخطيئة، والتأم جرح الموت، واستقرّ، منذ البدء، الملائكة الذين اختاروا جانب الله. والسماء، هنا، تعني، موطنًا روحيًّا خاضعًا لله، عاملاً بمشيئته، متطلّعًا إلى كماله، صادفاً عن هموم الأرض، وصغاراتها، وسُنَنها، ومُثُلها.

بقولنا «أبانا الذي في السماوات»، نختار موطننا الروحيّ، وهو موطن الأب السماويّ: «حيث أكون، هناك، أيضًا، يكون خادمي، والذي يخدمني، يكرّمه أبي» (يوحنّا ١٢: ٢٦)

ولكي نقول «أبانا الذي في السماوات»، بصدق، علينا أن نتسامى فوق هموم الدنيا، ومتاعب الحياة، وأطماع الأرض، وغوايات الجسد، متذكّرين أنّنا عابرو سبيل، وأنّ وطننا الحقّ هو، مع أبينا، في سمائه.

بهذا القول نقيم في اللّه، ونتذوّق طعمه السماويّ. حبّه يجعلنا نرحّب ببشراه التي يصعب تخيّلها: خالقي يحبّني، ومستقبلي سيغدو أبديّة محبّة. وشيئًا فشيئًا، سأسمع نغمات سماء اللّه، مثل القدّيسين الذين كنت أحسدهم من بعيد.

السماوات هي موطن الملكوت، ودخول الملكوت يقتضي التوبة. والتوبة ليست مجرّد ندمٍ عن أخطاء الماضي، بل هي تحوّل الفكر والقلب جوهريًّا، وهذا ما عبّر عنه الرسول بولس بقوله: «لقد قمتم مع المسيح. فاطلبوا، إذن، ما هو فوق، حيث يقيم المسيح، جالسًا عن يمين اللّه. اهتمّوا لما هو فوق، لا لما هو على الأرض، لأنّكم قد مُتُّم للعالم، وحياتكم مستترةٌ مع المسيح في اللّه» (كولوسي ٣: ١ – ٣)

والذين عرفوا اللّه عن كثب يؤكّدون أنّه يطيب لـه أن يجعل سماءه في قلوب محبّيه وأوليائه.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

ليتقدّس اسمك

في العقليّة الشرقيّة الاسم يُمثِّل حامله، وفي ما يتعلّق باللّه، خاصّةً، التطابق تامّ بين الاسم والمسمّى.

اللّه هو القداسة بالذات، فهل يسعه أن يكون أكثر قداسة، وبطلبٍ منّا؟ ومن يقدّس واهب القداسة؟

لقد شاء اللّه أن يحتاج إلى رجلٍ يعينه على حمل صليبه، وإلى امرأةٍ تمسح لـه وجهه الملطّخ بالدم والعرق، وإلى رفاقٍ يسهرون معه في نزاعه، وإلى رسلٍ يبلّغون رسالته، وإلى أجيالٍ وأجيالٍ تواصل تبليغ هذه الرسالة، ولكي يُؤكَل، كلَّ يوم، جسده المقدّم غذاءً، ولكي يتقدّس اسمه.

وقد ألقى يسوع، على كاهل كلٍّ منّا، مسؤوليّة تقديس اسمه، وإحلال ملكوته، وتحقيق مشيئته، وجعل منّا «شعبًا مقدّسًا»، على حدّ قول القدّيس بطرس.

الرسول بولس قال: «إنّي أُتمّ في جسدي ما ينقص من مضايق المسيح» (كولوسي ١: ٢٤) وإن كان، ثمّة، ما ينقص من مضايق المسيح، فثمّة ما ينقص من مجد الآب، فعلينا، إذن، أن نقدّس اسمه.

وتقديس اسمه هو تجلّي قداسته من خلال قداسة البشر

بتقديس أنفسنا نمجّد اسم الآب، ونكفّر، بعض التكفير، عن الإهانة التي يُلحقه بها، باستمرار، عالمٌ ضالّ. تلك كانت مهمّة يسوع الذي استطاع أن يقول: «لقد مجّدتك على الأرض، وأعلنت للناس اسمك، وسأعلنه، أيضًا، ليكون فيهم الحبّ الذي به أَحببتني، وأكون أنا فيهم».

وبتعليمه إيّانا أن نقول: «ليتقدّس اسمك»، يدعونا يسوع إلى مشاركته تمنّي تقديس اسم الآب، ولكأنّ رغبتنا هذه، وقداستنا، وجهدنا صوب القداسة، هي مشاركةٌ للّه في مكافحته للشرّ وللشرّير.

عبر مشاركتنا الابن في تمجيد الآب، يشترك كلّ إنسان، لأنّ كلّ إنسان هو عضوٌ في جسد المسيح، رأس الإنسانيّة، ورأس الجسد السرّيّ، الذي يجذب إليه البشريّة كلّها.

وهكذا ندعو الله من أجل الله، فبنعمته نستطيع أن نسهم في مجده، وأن نرغب، رغبةً عارمةً، في استتباب هذا المجد، وانتشاره على الأرض. ومثلما يقدّم الأبناء لآبائهم، بكلّ حبّهم، هدايا مشتراة بمال أولئك الآباء، كذلك كلّ ما نستطيع تقدمته للآب، مستمدٌّ من نعمته.

وستأهل السماء بمن حدتهم الرغبة في تقديس اسم الله.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

بما أنّ الله أبونا فاسمه هو كنيتنا، وشرفنا، وعلينا أن نصونه ونعظّمه. وعلينا تقع مسؤوليّة تمجيده.

كيف؟

– **بعبادته** التي لا تُنقص شيئًا من كرامة الإنسان، ولا تتعارض مع إبداعه. حسبنا أن نقول له: أنت، يا خالقي، الله الحيّ الذي شاء أن يهبني ذاته، ويمنحني الحياة، بإتاحته لي المشاركة في قداسته وحبّه.

نحن لا وجود لنا إلاّ في كيان، وفي حبّ من هو الكيان والحبّ. فكيف لا نسجد أمامه وجبهتنا في التراب؟ بمعزلٍ عن هذه العبادة ما من حياةٍ واعيةٍ في الله، ولا من تقديسٍ لاسمه المثلّث التقديس.

– **وبالفرح**: إنّ العبادة تتغذّى بالبهجة، التي لا تتعارض مع المصاعب اليوميّة، والتعب، وقسوة الوجود، والمرض، والهموم الممضّة. ألَم يعلّمنا يسوع أنّ الدرب إليه يمرّ عبر الشدائد، والتجرّد، وإنكار الذات، وغالبًا عبر الظلمات، وبالإجمال، عبر الصليب ؟ هذه المعوّقات عينها كفيلةٌ

بتطهير الإنسان، وتأهيله لسماع صوت اللّه. وللظهور عليها لا بدّ من الإيمان والمثابرة.

– بالإقامة في اللّه، وفي حبّه.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

قولنا: «ليتقدّس اسمك» يغدو بلا معنًى ولا جدوى، إذا صدر عن شفتيْن دنسَتيْن، وعن قلبٍ شوّهته الخطيئة التي، وحدها، تحجب عنّا قداسة أبينا السماويّ، وتغلق في وجهنا أبواب حبّه، وإنعامه، وجوده، لأنّ اللّه هو القداسة بالذات، هو الذي يسجد لـه ملائكة السماء قائلين: «قدّوس، قدّوس، قدّوس».

بقداسته نتقدّس. فبصليبه أعطى يسوع جميع الخطأة أن يقدّسوا اسم اللّه بتقديس أنفسهم. وقد ضرب هو المثل في تقديس اسم الآب بدأبه على الصلاة.

وبقولنا «ليتقدّس اسمك»، لا نطلب أن يكون اللّه قدّيسًا، بل أن يتقدّس في قلوبنا، وعلى شفاهنا، وفي قلوب جميع الناس الذين يريدهم أبناء له.

الإنسان حرّ، ومن ثمّ قادرٌ أن يشوّه اسم اللّه في ذاته، وفي نفوس الآخرين، ويجدّف عليه، ويدنّس صورته، كما بوسعه، بإزر اللّه، التعريف به، والدعوة إلى حبّه، بأقواله وسلوكه. وعندما نحن نسأل أن يتقدّس اسم اللّه، فإنّما نسأل نعمة تحقيق رسالة تسبيحه، بالاتّحاد مع الخليقة كلّها.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

«ليأتِ ملكوتك»

الملكوت الذي جاء يسوع يبشّر به، ويرسّخ أُسُسَه على الأرض.

«ليأتِ ملكوتك»، كي يتقدّس اسمك على نحوٍ مطلق، حيث يصبح الناس أَجمعون متحرّرين من كلّ ما يسيء إلى اسمك.

ملكوت الله هو أمسِ، واليوم، والغد. لا يحدّه زمان ولا مكان.

إنّه في ما بيننا، إنّه فينا، كما أكّد يسوع. إنّه في تقديسنا لاسم الآب، وفي إتمامنا مشيئته.

يأتينا ملكوت الله عندما نقبل نعمته: «إنّ مجيء ملكوت الله لا يُستدلّ عليه بشيء، ولا يقال: ها هوذا هنا، أو ها هوذا هناك، فإنّ ملكوت الله هو فيكم» (لوقا ١٧: ٢٠ – ٢١)

إنّه ملكوت النعمة الإلهيّة التي تجعلنا أبناء الله، وإخوة يسوع، وورثة الملكوت، وهياكل يسكنها الثالوث الأقدس.

«مملكتي ليست من هذا العالم»، قال يسوع لبيلاطس. إنّها من نوعٍ آخر. إنّ مصدرها يفوق إدراكنا، ولا تقاس بمعايير بشريّة. لم تُقِمْها أيادٍ بشريّة، ولن تقهرها أسلحةٌ بشريّة، وهي تتفوّق على جميع الممالك الأرضيّة بسلطان حبّها الذي لا يُقاوَم.

«ليأتِ ملكوتك»، مثل انفجار بركانٍ أو قنبلة، مثل ولادةٍ فريدة، في أعقاب دموعٍ، وآلامٍ، ورعشةٍ، كي يُقوَّض ملكوت المال، والسلطان، والعنف، فيكون عالَمًا جديدًا، دين حبّ، ومدينة الله.

«ليأتِ ملكوتك»، أي لتنتشر وترسّخ كنيستك، ولتغمر الأرض أفواج الذين يسهمون في عملك الفدائيّ، في توافقٍ متزايدٍ مع روح الإنجيل، ومتطلّباته، ومع محبّة يسوع.

طالما استمرّ التاريخ ظلّ الصراع قائمًا بين قوى الشرّ التي تشدّ الإنسان

نحو أمير العالم، وقوى الخير التي تشدّه نحو مخلّصه. ويظلّ واجب كلّ مسيحيٍّ مكافحة كلّ ظلمٍ وضلال، وكلّ شرٍّ يحول دون استتباب الملكوت، فيترسّخ رجاء الناس في الإنجيل، وينعكس على الأرض قبسٌ من ضياء الملكوت العتيد.

إنّنا ندعو لمجيء الملكوت الموعود بدم يسوع وآلامه، كي نتحرّر من عبوديّة العصر، ونملك، تحت سلطان المسيح.

اللّه ملِكٌ، وليس بحاجةٍ إلينا كي يستقرّ مُلكه، ولكنّنا، بدعائنا، نستثير رغبتنا في هذا الملكوت كي يأتي إلينا، ونملك نحن فيه.

«ليأتِ ملكوتك»: يا يسوع هل من طلبةٍ، أكثر من هذه، تجعلنا نشعر كم نحن على غرارك، من السماء ومن الأرض؟ ولكنّنا، نحن الخطأة، ممزّقون، مشدودون بين هذه السماء وهذه الأرض. إنّ ملكوت اللّه سيأتي بقدر ما ستملك أنت. فاجعلنا ننشره وفقًا لأفكارك أنت، وفقط بوسائلك أنت. وعلّمنا، ياربّ، ما الذي تقتضيه منّا، الكفيل بتحويل الضمائر، وتغيير وضع البشر أبنائك، الذين يعاني كثيرون منهم الجوع، ومساكنهم تحاكي أوجرة البهائم، ولا يعلمون، وربّما لن يعلموا أبدًا، أنّهم محبوبون. وبما أنّ أسرار الملكوت – وأسرار الأرض أيضًا – خافيةٌ عن الحكماء والفطنين، ومُعلَنةٌ للصغار، أعطِنا، أيّها الربّ يسوع، التواضع، والجرأة، والحبّ، حتّى، حيثما كان اسم اللّه مقدّسًا، وحيثما كان اسمه مجهولاً، يحلّ ملكوت اللّه الحيّ ، «ملك الملوك، وربّ الأرباب» الذي نجرُؤ أن ندعوه، بحنان، «أبانا».

عندما أوكل إلينا يسوع أن نهتف باسمه «أبانا»، وعندما شاء أن يشركنا في الإنجازات السماويّة، أشركنا إلى الأبد في عمله، وغدا فينا، حقًّا، شيءٌ من اللّه.

ولن تكتمل سعادة يسوع إلاّ عندما سيودع، بين يدي الآب، العالم كلّه، وقد غزاه بذاته، وبقدّيسيه.

قال بوسويه: «لن يكون يسوع مكتملاً، إلاّ عندما يكتمل عدد القدّيسين».

وسيكتمل ملكوت الله على الأرض، عندما يصبح الله كلّ شيء، في كلّ شيء،

«ليأتِ ملكوتك»، أي فلتتحقّق البشرى التي جاء يسوع يزفّها للعالم.

«لتكن مشيئتك»

مذ قال يسوع، وهو يحتضر: «يا أبتا... لا مشيئتي، بل مشيئتك»، بات هذا التوافق مع مشيئة الآب كافيًا لدفن كلّ ثوراتنا. فهذا الهتاف البسيط، هذا «النَعَم» الذي نردّ به على حبّ اللّه، يجرّد غضبه من كلّ سلاحه.

ليس عسيرًا على اللّه أن يفرض إرادته على خليقته، ولكنّه منحنا إرادةً وهو يحترم حرّيّة هذه الإرادة. ونحن نشعر أنّ هذه الإرادة لا تكتمل، ولا تزدهر، وتشيع فينا الرضى، إلاّ إذا كانت مستوحاةً من إرادة كائنٍ سامٍ، كاملٍ، ومستنيرةً بأشعّة ضيائه.

مشيئة اللّه ستتمّ في جميع الأحوال، وإنّما نحن، بهذا الدعاء، نبارك هذه الإرادة ونتناغم معها، سواء في الفرح أو في الدموع، في فعل إيمانٍ قد يحطّم قلوبنا، أحيانًا، في استسلامٍ لمشيئته، حتّى لو كان استسلامًا يشبه النزاع، في عرقٍ من دم، على نحو ما سيستسلم يسوع لمشيئة الآب.

«لتكن مشيئتك» طلبةٌ هي في مكان المحور من آلام البشريّة وآمالها .

يقول القدّيس توما الأكوينيّ: «الذين ليسوا مع اللّه، وبقدر ما هو فيهم، هم أعداء له، لأنّهم يعارضون إرادته»

عندما أخطئ أقضي على شيءٍ أراده اللّه وأحبّه. من المؤكّد أنّ ذلك لا ينال من اللّه في ذاته، بل من الأشياء التي أرادها من أجلنا.

ما هي مشيئة اللّه؟ هي، أوّلاً، خلاص الجميع، وسعادتهم في المسيح، وبلوغ البشريّة جمعاء إلى بيت الآب. غير أنّ مرامي اللّه الكبرى لا تتحقّق إلاّ بمساهمة أبنائه. فلكلّ كائنٍ رسالة، وهي صنع تاريخ البشريّة المقدّس، والإسهام، بكلّ الوسائل المتوفّرة لكائنٍ بشريّ، في جمع كلّ شيءٍ تحت رعاية رئيس واحد: يسوع المسيح.

مشيئة اللّه هي، من ثمّ، دعوتي أنا، التي يعسر عليّ، أحيانًا، قبولها، هي مصيري، أنا، الشخصيّ، على نحوٍ مطلق، الذي أخوضه بالاتّصال مع مصير الآخرين، ومن أجل الآخرين، في إطار حبٍّ جمٍّ يريدني أن أكون معه، صانع مجده، وعامل سعادة جميع إخوتي البشر.

كيف نستبين مشيئة اللّه؟

الخطوة الأولى هي صلب الجسد مع الأهواء والشهوات، والسلوك بحسب الروح، «لأنّ الجسد يشتهي ضدّ الروح». «أمّا ثمر الروح فهو المحبّة، والفرح، والسلام، وطول الأناة، واللطف، والصلاح، والأمانة، والوداعة، والعفاف» (غلاطية ٥: ٢٢ – ٢٣)

مشيئة اللّه هي أن يتمثّل كلّ بشر بابنه يسوع. فقد أعلن الآب مشيئته من خلال تعاليم يسوع. وعبثًا ننشد إشاراتٍ تبيّن لنا مشيئته هذه. وفي هذا السياق يقول القدّيس يوحنّا الصليبي، بلسان اللّه: «انظروا إلى ابني ... لديه كلّ كلامي، هو كلّ جوابي. إنّه كلّ رؤيتي، وكلّ وحيي... فمن يطلب أن أُكلّمه، وأن أعلن لـه أمرًا، فلكأنّه يطالبني، مجدّدًا، بأن يعيد يسوع، كرّةً أُخرى، حياته وموته». ولكنّ هذا لا يمنع أن يدعو اللّه البعض دعوةً شخصيّة إلى مهمّةٍ خاصّة.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

في أعقاب أحداثٍ غير متوقّعة، قد تسلك مصائر البشر دروبًا جديدة، وحيال ضغوطٍ اجتماعيّة، قد تحدث تحوُّلاتٌ جذريّة، وتولد دعواتٌ إلى أسمى أنماط بذل الذات. وقد توري صدمة الأحداث شرارةً تتحوّل نورًا ساطعًا.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

قد يستغلق علينا إدراك مشيئة الله عندما نشهد ما يصيب أبرياء من ظلمٍ، وبؤس، وكوارث، ومع ذلك، فلنثق بأنّ الآب يبتغي خير أبنائه، وإن خفيت عنّا تدابيره.

ولكن حذارِ من أن نحمّل مشيئة الله ما لا علاقة لها به: عواقب أخطائنا، وخطايانا، وطيشنا، وإهمالنا، وجبننا. ولا نعزونّ لـه الآلام، وضروب البؤس، والظلمات التي تحجب المستقبل، والناجمة عن لا مبالاة البشر، وخبثهم. ولا نستبدلنّ عنايته وحبّه اللامحدود بقدرٍ غاشمٍ أعمى.

ولنثق أنّ كلّ شيء يؤول إلى خير من يحبّهم الله، فهو يبتغي صالحنا أكثر منّا، فلنثق به، ولنستسلم لمشيئته. ولنتقبّل، إيجابيًّا، كلّ ما يأتينا، فمن شأن هذا الاستقبال تحويل الحدث، وانتزاع عوامل الموت منه.

ولنستعن بالصلاة: فالصلاة التي تحاور الله الحيّ تتيح للمرء أن يستشفّ ويستقرئ، في صميم القلب، ما لم يدركه العقل، وما لم يسلّم به. إنّ صلاتنا تعلم ما لا نعلمه نحن. فإن نحن استسلمنا لها، علّمتنا كيف نكتشف، في الحياة اليوميّة، وسائل وفائنا.

في رسالة بولس إلى العبرانيّين: «يقول المسيح عند دخوله العالم: «ها أناذا آتي ... لأعمل، يا ألله، بمشيئتك». (١٠: ٥ – ٧) ألا يجدر إذن، بنا أيضًا، أن نقول «نعم» لمخطّط الله للكون، و«نعم» للدور الشخصيّ الموكل إلينا، في إطار العمل المشترك؟

إنّ حياة الكثيرين تبدو مقاومةً متماديةً لمشيئة الله. وكثيرون يعملون بمشيئة الله، بعد أن يؤوّلوها، ويكيّفوها مع رغباتهم. فالالتزام بمشيئة الله بصدقٍ وتجرّد، لا يتحقّق إلاّ في أعقاب صراعٍ عنيفٍ من الذات.

حرّيّة الإنسان تكمن في تسخير سخاء قلبه، ومهارات فكره، وجرأته، وخياله، في خدمة يسوع وإخوته، وبذلك يتوافق المسيحيّ مع ما ترسمه لـه فكرة الآب الخلاّقة، وهو يكتشف هذه الفكرة، بكلّ حقيقتها، بوفائه لإلهاماته الداخليّة.

يسوع باح لتلاميذه: «إنّما طعامي أن أعمل بمشيئة الذي أرسلني، وأن أتمّم عمله». وهذا هو واجب المؤمن الذي تقطن المشيئة الإلهيّة جسده وروحه، والكون الذي يحمله في داخله، وجزء التاريخ البشريّ المدوّن في دعوته. وهذا ما أظهره، بجلاء، القدّيسون والقدّيسات.

ما يجعلنا نحجم دون مشيئة اللّه: الخوف، خوفٌ من الموت ومن الفراق في حالاتٍ معيّنة، وخوفٌ من المجهول، في معظم الحالات. إنّ سرًّا مقلقًا يرفرف فوق المستقبل، فنشيح بأبصارنا عنه، ونصمّ آذاننا دونه، مؤثرين ألاّ نرى، وألاّ نسمع ما سيطلبه اللّه منّا.

لا ريب أنّ الصلبان منثورةٌ على دروب حرّيّتنا. ولكنّ تخيّلاتٍ باطلةً غالبًا ما تشوّه علاقتنا باللّه. وغالبًا ما نتعفّن في الرداءة، اتّقاءً لمحنٍ لن تحدث أبدًا. وبفعل تخيّلاتٍ وأوهامٍ ننأى عن القداسة.

ولكن حتّى إذا انهالت علينا الرزايا، فعناية اللّه لا تتخلّى عنّا، بل تلفّنا بسند رحمته.

فلنُعرض عن مقاومة الأشباح، إذ إنّ أمامنا عدوًّا حقيقيًّا شرسًا: ذلك القطاع من فكرنا وقلبنا الذي يقاوم اللّه. قد نصلّي، ونعلن إيماننا، ولكن، إن لم نصارع ذلك القطاع منّا الذي يرفض الاستسلام التامّ لمشيئة اللّه، وإن أَتَحنا للكذب أن يتسرّب إلى مسيرتنا الدينيّة، فسنُمنى بالعقم.

غالبًا ما تصطدم مشيئة اللّه بغرائز الخطيئة فينا، وممّا يضاعف مقاومتنا لهذه المشيئة الإلهيّة، الصبوّ الشائع، اليوم، إلى الاستقلال، والتنكّر لكلّ سلطة.

التغلّب على الذات يستلزم صراعًا مستمرًّا لا ينتهي. وثمّة صراعٌ مع العالم، ومع محيطنا الذي تضعه ميوله ومصالحه، في حالة تمرّد على اللّه، والذي يحاول إصابتنا بعدواه.

ولا ننسينَّ أمير العالم، أمير الشرّ والضلال! إنكار وجوده هو الخطوة

الأولى نحو الوقوع في شباكه. ومسرح تأثيره المفضّل هو المجتمعات البشريّة التي تجهد في سبيل سلبنا حرّيّتنا.

وتظلّ وسيلتنا الأخيرة هي الصلاة التي تحمل قلوبنا على الخضوع لمشيئة اللّه. وقد كتب كيركيغارد في هذا السياق: «في علاقة الصلاة الحقّة، ليس اللّه هو من يَسمع ما يُطلب منه، بل المصلّي الذي يستمرّ في الصلاة، حتّى يسمع، هو نفسه، ما يريده اللّه منه».

«لتكن مشيئتك»! فلنجعل من هذه الطلبة صرختنا، ودعاءً متفجّرًا من كلّ الكيان، وسط الشدائد والصعاب. ولنردّد مع الأب مونييه:

«لتكن مشيئتك الأبويّة.

أبانا، مشيئتك هي دائمًا جيّدة، فهي لي الحياة، وهي لي السماء، وهي ما يُصيبني، طيلة حياتي، من ألمٍ، ونبذٍ، وإخفاقاتٍ، ونجاحاتٍ.

الإخفاقات والنجاحات هي، دائمًا، مشيئتك، وهي، دائمًا جيّدة.

أيّها الآب، فليكن كما تريد، وحينما تريد، وحيثما تريد، وما تريد.

ولكنّني، أنا ابنك، سأبذل كلّ جهد الابن الصغير لكي تتحقّق مشيئتك»

ليس الفداء عملاً محقّقًا، بل هو عملٌ يتحقّق، ويقتضي مساهمتنا.

وكما أنّ صلاتنا لا تصبح حقيقيّةً وفاعلةً إلاّ إذا كانت حياتنا كلّها امتدادًا وصورةً لها، كذلك لن نقوى على تتميم مشيئة اللّه، والمساهمة في أن تتمّ في كلّ مكان، إلاّ إذا طلبنا بإلحافٍ أن تتحقّق، وسعينا صادقين إلى تحقيقها.

نحن نرغب في أن نحبّ، ولكنّنا نخشى التضحية. نرغب في العطاء ولكن يرعبنا أن نفقد... بذل الذات يحاكي قفزةً في الفراغ، لا يجسر على الإقدام عليها من لا يوقن، يقينًا راسخًا، بأنّ ذراعَي الآب جاهزتان

لاستقباله وتلقّيه. هذا الاستسلام التامّ، هذه الثقة التي تشيع النشوة، ينبغي أن نحياهما يوميًّا .

خطؤنا هو محاولتنا ألاّ نتخلّى عن شيءٍ منّا، وأن نحبّ، في آنٍ واحد؛ أن نلبّي رغباتنا ونحقّق مشيئة الله؛ أن نتحوّل ونحافظ على صورتنا؛ أن نتجلّى ونحتفظ بوجهنا. إنّنا، أبدًا، نتمنّى أن نستقلّ بذواتنا، وننعتق من الله، فالخضوع التامّ له موجع، كما أنّ الحبّ موجع.

غير أنّ الاستقلال الحقّ هو القدرة على وضع الذات في خدمة الآخرين، أمّا العجز عن ذلك فهو افتقارٌ إلى الحرّيّة. وإنّنا لا نملك، حقًّا، إلاّ ما نتمسّك به بشراسة، عندما نجرؤ على التخلّي عنه. لا نصبح ذواتنا، حقًّا، إلاّ عندما ندع الله يصوغنا، بصبرٍ وأناة.

سمعان القيرينيّ أُكرِه على حمل صليب يسوع إلى الجلجلة، ولكنّه، في نهاية المطاف، لم يَعُدْ يرى سوى يسوع. وهذا هو المطلوب منّا. قد يكون الصليب الملقى على كاهلنا لا يُطاق. فيسوع نفسه قضى ساعاتٍ ساحقة، يقطر عرقًا، ودمًا، متمنّيًا ابتعاد الكأس التي توجّب عليه ارتشافها، قبل أن يعلن: «ولكن فلتكن مشيئتك، يا أبتِ، لا مشيئتي».

مشيئتنا بشريّة، ومشيئة الله إلهيّة، لذلك يصعب علينا تقبّلها. فما يرى فيه الله مبعث سعادتنا: التضحية بالذات، والعطاء، والإيثار، نرى نحن فيه صلبًا، وآلامًا، وموتًا.

العذراء خير قدوة لنا: فقد ارتضت، بلا تردّد، التضحية بكلّ مشاريع حياتها، وبنمط القداسة التي كانت تصبو إليها، وأعلنت: «فليكن لي بحسب قولك». على نقيض آدم الذي ابتغى أن يكون سيّد مصيره، ارتضت، هي، طائعةً، المصير الذي اختاره لها الربّ، معرّضةً ذاتها، في الحال، لأقسى ضروب المهانة، مضحّيةً بكلّ السكون الذي أمِلت العيش في أحضانه، ومُقدمةً على حياةٍ لم تكن سوى سلسلةٍ من التضحيات المؤلمة. لقد ارتقى بها ابنها إلى قمّة التمثّل به، وحرّرها من كلّ ما كان

ينتزعه منها. وهي، متخطيّةً الألم، كانت تبارك هذا التمثّل، هذا التوافق مع إرادته، هذا التماهي به، الذي كان سبب كلّ ما تعانيه من ألم.

كانت تلتزم بكلّ رغباته، ولو لم تدرك أسبابها ومؤدّياتها، وكانت تكتشف روعة ما يُحدثه فيها وفي العالم، وسط الفقر، والخيبات، والقهر، والآلام، والتمزّق.

غالبًا ما يخيّب الله تمنّياتنا. لقد خيّب توقُّعات سابقه، وتصوّرات تلاميذه، وما انفكّ يخيّب تطلّعاتنا التي لا تتوافق مع إرادته. هم توقّعوا منه السلطان والمجد، فتجلّى في الحبّ، وعلى الصليب.

لا بدّ لنا من التوغّل في الصلاة لكي نكفّ عن التفكير بما نطلب، ونفكّر بمن نتوجّه إليه بطلباتنا.

الله يهبنا فرح التضحية المتجلّية في ضوئها الحقّ: تمثُّلٌ أوثق بالله، توغُّلٌ فيه، حميميّةٌ معه. تضحية هي اختيارٌ يفعم النفس نشوة، وليست حرماناً. فالله لا يريد لنا الحزن، بل يبتغي لنا الفرح. «التضحية» بالعالم، هي اختيارنا الله.

فلنحبّ المكان الذي يدعونا إليه، حيث سنجده، ولنؤثر هذا المكان على ذاك الذي هجرناه. ولكن لا نذهبنّ مكرَهين، وغير قانعين بأنّ الله سيفرحنا، في المكان الذي يقودنا إليه، ولو ارتعدنا وجَلاً منه. فالله قادرٌ أن يجعلنا نتهلّل فرحًا تحت عبء صليبٍ يرهقنا، ونغتني بما ينتزعه منّا.

لا يريد الله تجريدنا من متاعنا، بل من تعلّقنا بهذا المتاع.

كما في السماء، كذلك على الأرض

هذا الطلب ينسحب على الطلبات الثلاث السابقة: «ليتقدّس اسمك، ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك»

«كما في السماء»، أي على نحو ما ينفّذ الملائكة مشيئتك. قد يبدو ذلك مستحيلاً على الأرضيّين، ومع ذلك ينبغي أن نطلبه في حرارةٍ كبرى، لأنّ اللّه يريدنا أن نتنطّح للمستحيل.

ولكن هل يمكن أن تتحقّق مشيئة الآب كما هي محقّقة في السماء، على الأرض الموبوءة، حيث أقام الناس، في قلوبهم، هياكل لآلهة النميمة، والحسد، والبغضاء، والقتال، والدعارة، والإلحاد؟ قد يبدو تحقيق هذا الطلب مستحيلاً، ولكنّ الحبّ يتصدّى للمستحيل، وغالبًا ما يتوصّل إلى مشارفه.

«على الأرض كما في السماء». هذه العبارة تربط، ربطًا محكمًا، أَرضنا، أَرض الجوع، والذنوب، والشدائد، بسماء اللّه. السماء هي المثل الأعلى لتقديس اسم اللّه، ولرسوخ ملكوته، ولتنفيذ مشيئته. والسماء، هنا، هي قطاع البشريّة الذي، في إثر المسيح، «نفذ إلى ما وراء الحجاب، إلى حيث دخل يسوع لأجلنا كسابق» (عبرانيّين ٦: ١٩)

إنّ بين الأرض والسماء علاقة قربى، تجعلهما متضامنتين. فعلى حدّ قول سيرتيلانج: «بقدر ما يتكاثر عدد الذين هجروا المنزل، تتوطّد علاقات الأحياء بأهل السماء، ويتحوّل مركز ثقل الأسرة، ويرتقي».

علاقة الأرض بالسماء هي المضيّ نحوها، هي الصبوّ والسموّ إليها، لأنّها الغاية. للأرض دعوةٌ، حلمٌ مجنون: أن تصبح سماءً. قال أوريجينُس: «إن تحقّقت مشيئة اللّه على الأرض، كما هي محقّقةٌ في السماء، لأصبحنا جميعنا سماءً ... وحينئذٍ سيرث ملكوت اللّه اللحم الذي لا نفع فيه، الدم الذي يجري في أوصاله، إن هما تحوّلا من ترابٍ وغبارٍ، ودمٍ إلى جوهرٍ علويّ ...»

قد نعترض بأنّ البون شاسع بين الأرض والسماء. غير أنّ «العالِم بما في الإنسان»، ذاك الذي سحقته، في الجتسماني، جرائمنا، وشقاقاتنا، وجبننا، ولا مبالاتنا هو الذي يطيح بشكوكنا ويأسنا، ويعلّمنا أن نقول: «أبانا ... كما في السماء، كذلك على الأرض».

الجوهريّ هو أن يحبّ المرء قريبه، مثل حبّه لنفسه، وحينئذٍ ينشأ الفردوس، وتصبح الأرض، شيئًا فشيئًا، شبيهة بالسماء: «أنتم كلّكم إخوة ... لأنّ أباكم واحد، وهو الذي في السماوات» (متّى ٢٣: ٨ – ٩)

إنّنا نتذوّق طعم السماء في التسليم، والتواضع، والثقة، ومشاركة الآخرين، والإخاء، والعطاء، والصفح ... ولكنّنا عندما لا نطيق ذواتنا، وعندما نكون مستائين، نزّاعين إلى الانتقام، مفعمين حقدًا، وبغضًا، عقيمين في الحبّ والتقوى، فإنّنا نتذوّق شيئًا من طعم جهنّم.

السماء نعمةٌ توهب من العليّ، ولكنّ جهنّم يصنعها الإنسان بنفسه.

متى تضامن البشر، حقًّا، على تنفيذ مشيئة الله، سيجري تحوُّلٌ جوهريٌّ على الأرض، وستحلّ فيها نفحةٌ سماويّة. ففي السماء تُعاش أُخوّةٌ كاملة، لأنّ الجميع ينفّذون مشيئة الله بكلّ نقائها. فهي الهواء الذي يتنشّقونه، وهي خلجات قلوبهم، وبمقدار ما تترسّخ أخوّة البشر تتحقّق دعوة الأرض إلى تدشين ملكوت المسيح الجديد.

وقد جعل يسوع ذاته، بصفةٍ خاصّة، أَخًا للجياع، والعطاش، والمرضى، والغرباء، والمشرّدين، فارتقى بهم إلى مستوًى لا يُصدَّق: «كلّ ما فعلتموه لأحد إخوتي الصغار هؤلاء، فلي فعلتموه» (متّى ٢٥: ٤٠)

من أجل إخوة الربّ، وإخوتنا هؤلاء، ينبغي أن نغيّر أرضنا وأنظمتنا، بمكافحة كلّ وجوه الخوف، واللا أمان، والبؤس، واليأس.

أعطِنا، اليوم، خبزنا

في القسم الأوّل من الصلاة الربّيَّة، التمسنا مجد الآب، الذي به نتمجّد نحن أيضًا، لأنّ اللّه هو أبونا وهذا المجد يتحقّق بتقديسنا لاسمه، وإسهامنا في إحلال ملكوته، وتنفيذنا لمشيئته.

وفي القسم الثاني نسأله، بصفته أبًا مسؤولاً عن بنيه، ما يقيم حياتنا، وما يقرّبنا من حبّه وكماله، وما يقينا من الخطيئة التي تؤلم قلبه، وتقصينا عنه، وتودي بنا إلى الهلاك.

القسمان، إذن، مترابطان، متكاملان، فعندما نكلّم اللّه عن اللّه، نكلّمه، أيضًا، عن ذواتنا، وعندما نكلّمه عن ذواتنا، نحن أبناءه، فنحن نكلّمه عن ذاته، فهو أبونا .

نبدأ بطلب كفافنا من الخبز الذي يبقينا على قيد الحياة، ويهبنا القدرة على العمل والخدمة. وقد تعدّدت ترجمات هذه الطلبة فمنهم من قال «أعطنا خبز الغد» أي خبز الحياة الأبديّة، وآخرون قالوا: «خبز اليوم الحاضر»، «الخبز الضروريّ للقيام بأوَدنا» أو «الخبز الجوهريّ بامتياز» أو «الخبز الذي يفوق جوهرنا»، لأنّه جوهر اللّه.

ولا ريب أنّنا، بهذه الطلبة، نسأل غذاء الجسد والروح معًا.

نسأل الخبز المادّيّ الذي لا بدّ منه لحياتنا الجسديّة. فيسوع يشفق على جسدنا، ويريد له قدرًا كافيًا من الغذاء الذي يقيه من الجوع، ومن الفاقة التي هي، في مقياس الأرض، جحيمها. ونحن نطلب هذا الخبز بصيغة الجمع، بروح الإخاء والتضامن الذي ينتظم البشر أجمعين. نطلبه، ليس فقط لنا، بل أيضًا، وخصوصًا، لأجل أولئك الذين قد يكونون في افتقارٍ إليه، افتقارٍ لا يرضى اللّه عنه.

«أعطِنا خبزنا»، نقولها حتّى عندما نصلّي بمفردنا، ولا نقول «أعطني خبزي»، بل خبزي وخبز إخوتي، وأبنائي، وجيراني، وكلّ إنسانٍ في

العالم يحتاج إلى الخبز. وهذا يعني استعدادي للتخلّي عن رغيفي لمن يتضوّر جوعًا.

فلا يطلبنّ مسيحيٌّ وجبته لنفسه، ولا ينشدنّ ما يحتاج إليه وحده، بل فليطب الغذاء الجوهريّ باسم جميع إخوته، لكيلا يبقى جائعٌ محرومًا، فمصير جميع البشر مشترك، وهم متكافلون، فلولا الأنانيّات الفرديّة والوطنيّة، والعرقيّة، والطبقيّة، لما كان جوعٌ وفقر. ولو استُخدمت واردات الدول الكبرى، ووسائلها العلميّة والتقنيّة لمكافحة العَوَز عوضًا عن استخدامها للتهديد بالدمار، لما افتقر إنسانٌ إلى خبزه اليوميّ. وحتّى لو أنفقت دول العالم الثالث، والعالم الرابع، مواردها الهزيلة على مواطنيها، بإنصاف، ولم يتسرّب معظمها إلى جيوب حكّامها ولصوصها الرفيعي المقام، لما شاع فيها العَوَز، والجهل، والمرض، والتخلّف.

تنتابنا الرعدة عندما نشهد كم من العراقيل ما زال يقيمها البشر في وجه إنجيل العدل والمحبّة!

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

وقد علّمنا الربّ أن نسأل كفافنا من الخبز، ليومنا الحاضر، لأنّ كلّ ما يفيض عن حاجاتنا نسلبه من حاجات إخوتنا الأساسيّة. ولأنّ كلّ ما نكدّسه تحسُّبًا للغد، وحيطةً، هو دليل انعدام ثقتنا بأبينا السماويّ.

إنّ من يكتفي بطلب الخبز اليوميّ، يقبل بالتجرّد التامّ، ويتوقّع كلّ شيء من الله. وبتكراره هذا الطلب، كلّ يوم، يرتضي بأن يكون حاجًّا لا قرار له، لا يغرس يومَه في جهد أمسه، بل يستهلّ، كلّ يوم، نهاره، وكأنّ حياته تبدأ من جديد.

من يدأب على تكديس المال والمتاع، غالبًا ما ينغلق قلبه، وتنقبض يداه.

وغالبًا ما توهم الثروة مالكها بأنّه في غنًى عن الله، وعن الحبّ، وعن الآخرين .

أمّا من يحدّق إلى وجه الآب فهو يجد فيه من العطف ما يحرّره، إلى الأبد، من القلق والهمّ، وما يقوده إلى إيثار الله على كلّ شيء، وإلى ما ينجم عن ذلك من فرحٍ وسلام.

إنّ الثقة بالله منبع سعادة، ودعاء «أبانا» يتعذّر على من ليست ثقته بالآب كاملةً، راسخةً. أمّا التذمّر، والقلق، والخوف من الآتي، فهو إهانة لله.

صحيحٌ أنّ الله يهبنا، قبل الخبز، ذراعين تنتجانه، وساقين للسعي في سبيله، ولكنّ الثروة الحقّة هي الإيمان بأنّنا، حتّى لو افتقدنا الخبز والذراعين والساقين، فسيبقى لنا أبٌ محبّ. وهذه هي الثروة التي ينبغي أن نورّثها لأبنائنا.

ينبغي أن نقيم توازنًا بين الصلاة والعمل، بين التسليم والحيطة، أن نحترم عملنا احترامًا جمًّا لأنّه يأتينا من الآب، وأن ننفّذه بتفاؤلٍ تامّ، لأنّنا بين يديه، ولأنّه وعَدَنا بالعناية بنا، في كلّ ظرف.

وقد شاء الله أن يكون عنايةً لهذا أو ذاك من إخوتنا باستخدامه أيدينا، ومالنا، وصداقتنا.

وقد يكون الخبز متوفّرًا لدينا، ومع ذلك نطلب، كلّ يوم، خبزنا اليوميّ، وبذلك نطلب تحوّل قلوبنا الحجريّة إلى قلوبٍ محبّة. وليس هذا التحوّل أقلّ إدهاشًا من تكثير الخبز والسمك.

ليس الفقر فضيلةً في ذاته، ولكنّ الحبّ هو فضيلة، وفضيلة الفقر هي أن نحبّ إخوتنا، وأن نملك من الثقة بالله ما يحملنا على الافتقار من أجلهم.

الله حبّ، وخير ما يعطي محبّيه هو تعليمهم أن يحبّوا على غراره. وفي أسرة الله لا يملك المرء إلاّ ما يعطي. بالفقر يتوغّل الإنسان في بنوّة

اللّه، وبإعطائه كلّ شيء يتمثّل بالآب. ولبلوغ هذا الهدف لا يكفي تقديم المقتنيات، بل ينبغي تقديم الذات، أيضًا.

قد يكون الخبز اليوميّ الذي نلتمسه مرًّا، ولكنّه، دائمًا، خبزٌ مغذٍّ.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

هذه الصلاة تعلّمنا ألاّ نقلق للغد، وألاّ نهتمّ إلاّ ليومنا. فأيّ ضمانٍ للغد خيرٌ من اللّه؟ وفي هذا السياق قال «كوتّولينغو»: «الآب يرسل كلّ شيء، وأبو الغد هو عينه أبو اليوم». ويسوع نفسه أكّد: أطلبوا، أوّلاً، ملكوت اللّه وبرّه، وكلّ ما سوى ذلك يأتيكم مجّانًا. ولكن علينا أن نصلّي، كلّ يومٍ من حياتنا، من أجل كلّ يومٍ نُعطى فيه الحياة.

فلتتفجّر هذه الصلاة، مثل صيحةٍ نابعةٍ من كلّ كياننا، ولا يكن الخبز الذي نستجديه هو ما يلزمنا لتغذية جسدنا فحسب، بل فلنسأل ما يغذّي جسدنا ونفسنا. فإن اقتصرنا على طلب الخبز المادّيّ لإشباع مِعَدنا، وخوى من العبادة طلبنا، إذن لبقي فينا متسوّلٌ يجهل الصلاة.

لا ينبي يسوع يذكّرنا أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل لا بدّ له من غذاءٍ آخر يقيم أوَد نفسه، وهو «كلّ كلمةٍ تخرج من فم اللّه»، والتي تغذّي فينا جوعًا دائمًا ناشبًا بأحشائنا، وحاجةً حارقةً إليها.

يقول النبيّ إرميا: «إنّ كلماتك بلغت إليّ فأكلتها ». ونحن، أيضًا، علينا أن نأكل كلمة اللّه، أسوةً بإرميا، وأن نجعلها قوتنا اليوميّ.

بل علينا أن نأكل ونتمثّل يسوع نفسه، «خبز اللّه الذي ينزل من السماء ويهب العالم الحياة»، «خبز السماء الحقّ». أوَ ليس هو من قال: «من يأكل جسدي، ويشرب دمي، فله الحياة الأبديّة، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير»، «أنا خبز الحياة. من يلتهمني يعيش إلى الأبد. والخبز الذي أعطيه هو جسدي لحياة العالم»؟

ألا يمكن أن يكون هذا هو المعنى الذي قصده يسوع عندما علّمنا أن نطلب الخبز؟

ومن ثمّ فالترجمة الكفيلة بتأدية المعاني كلّها هي: «أعطِنا، اليوم، ما يلزمنا من خبزٍ يوفّر لنا الحياة والخلاص».

إغفر ذنوبنا ... كما علّمتنا أن نغفر

بين الإنجيليّ متّى، والإنجيليّ لوقا، تباينٌ في التعبير وتوافقٌ على المعنى. فالأوّل يقول: «اترك لنا ما علينا كما تركنا لمن لنا عليه». أمّا الثاني فيقول: «إغفر لنا خطايانا لأنّنا، نحن أيضًا، نغفر لكلّ من أساء إلينا».

ففي الواقع، كلّ إنسان، من جرّاء خطاياه، مدينٌ للّه، دينَ حبّ. وحسبه أن يعود إلى الآب تائبًا، كي يُعفى من دينه، ويُغسل من ذنبه. وليس ما يُفرح قلب اللّه مثل هذه العودة التائبة، كما بيّن لنا يسوع في مثل الابن الضالّ، حيث تفجّرت سعادة الأب، لمجرّد رؤيته ابنه عائدًا من بعيد، وكان هو الذي جرى نحوه، وانكبّ على كتفه باكيًا جَذَلاً. فعلامَ نضنّ على اللّه، أبينا، بهذه الفرحة التي تفعم قلبه، كلّما عدنا إليه تائبين، وأتحنا له أن يضمّنا إلى صدره؟

إنّ اللّه حبٌّ وعطاء. والحبّ الأكبر هو الذي يتغلّب على العائق الأهمّ: نكران الجميل. والعطاء الكامل هو الصفح.

ولا شيء يشلّ رأفة اللّه سوى كبريائنا وعنادنا، الكبرياء التي تمنعنا من الاعتراف بخطئنا، والعناد الذي يحول دون توبتنا.

الإقرار بالذنب، والتصميم على الابتعاد عنه هما شرط الغفران، وقد جاء في مثل السيّد الذي سامح وكيلاً له بدينٍ باهظٍ، قوله: «لقد تركت لك كلّ ذلك الدين، لأنّك تضرّعت إليّ» (متّى ١٨: ٣٢). ويقول القدّيس يوحنّا في رسالته الأولى (١: ٨ – ١٠): «إن نحن قلنا: إنّا بغير خطيئة، فإنّما نُضلّ أنفسنا، وليس الحقّ فينا. وإن اعترفنا بخطايانا، فاللّه أمين وعادل: فإنّه يغفر خطايانا، ويطهّرنا من كلّ إثم. إن نحن قلنا: إنّا لم نخطأ، نجعله كاذبًا، ولا تكون كلمته فينا».

يلزمنا تواضعٌ مطلقٌ كي نحتمل، بفرح، المقارنة بين عدم أهليّتنا، وكرم اللّه وسماحته.

إنّ اللّه يؤثر الخطأة المتواضعين المعترفين بخطاياهم، على مدّعي الفضيلة المتكبّرين، القبور المكلّسة. وربّما لم يرتكب الأخ الأكبر، في مَثَل الابن الضالّ، خطيئةً جسيمة، ولكنّه كان، في مضمار الحبّ، عقيمًا، وقد ملأته استقامته مرارة.

عندما نكون خاطئين نرزح تحت دين حبّ. وعندما ننال الصفح، نُعفى من ديننا لأنّ الحبّ الذي كنّا نفتقر إليه، يعبر من قلب اللّه إلى قلبنا. اللّه يصفح عنّا عندما يهبنا ما نكفّر به عن خطايانا، وننمو في صداقته. وعظمة حبّ اللّه تقاس بالصبر الجمّ الذي لا يكلّ، الذي يواكب صفحه.

لا يمحو اللّه ماضينا، بل يعيده إلينا مغسولاً بدم يسوع، بدم رجل الآلام، الذي أخذ على عاتقه خطايا العالم. يعيده لنا دليلاً على رحمته وحنانه لكي يحيا، من جديدٍ، في داخلنا، إنسانُنا الداخليّ، ومن حولنا، تلفّنا أخوّةٌ مبنيّةٌ على الصفح، بفضل دفء حبّه، وصدقه، وعظمته.

إنّ اللّه، وحده، يجيد غفران الخطايا، ويبتدع مبادرة النعمة، والفرح، والسماحة، والحبّ المجّانيّ.

مثل هذه المبادرة صعبة على البشر، وتقتضي منهم بطولة. ولكنّها شرط اللّه كي يصفح عنّا. ولذلك نقول: «اغفر لنا خطايانا، لأنّنا، نحن أيضًا، نغفر لكلّ من أساء إلينا». ولكأنّنا نقول للّه: «نحن نعلم أنّ غفرانك مرهونٌ بغفراننا لإخواتنا. إنّه عقدٌ بيننا وبينك، ونحن به ملتزمون، ولكنّنا نسألك الغفران لكي نتعلّم منك طريقة الغفران المثلى، ونتمثّل بك».

رغبتنا في الغفران ينبغي أن تكون حقيقيّةً، راسخةً، لا سطحيّة، تتلفّظ بها شفاهنا، في حين أنّ قلوبنا على حقدها مقيمة. وإلاّ لكنّا فرّيسيّين منافقين، مثلما نكون عندما نقول: «أَبانا»، ونحن مصمّمون على ألاّ نقتسم مع الغير شيئًا، أو عندما نقول: «ليأتِ ملكوتك»، ونحن لا نفكّر إلاّ بملكوتنا؛ أو عندما نقول: «لتكن مشيئتك»، ونحن نسعى إلى فرض إرادتنا على اللّه.

الجراح التي نصيب بها حبّ اللّه ستُغفر لنا إن نحن غفرنا، بصدقٍ، لإخوتنا إساءاتهم. هذا هو شرط اللّه، وهذا هو دليل مدى رغبته في أن يحبّ بعضنا بعضًا، بلا تمييز، حبًّا لكلّ إنسان، حتّى لمن يحملنا مجتمعنا وأنانيّتنا على اعتباره عدوًّا.

الغفران والتسامح هما ميزة المسيحيّ. وأجمل الغفران هو المجّانيّ، الغفران لمن لم يلتمس الغفران؛ هو الصلاة من أجل الأعداء المُعلَنين.

«لا تتخلّ عنّا في التجربة، بل نجّنا من الشرّير»

هذه الترجمة حريّة بأن تحلّ محلّ النصّ الرائج الذي نقول فيه: «لا تدخلنا في التجربة»

فالله أبٌ، ولا يُعقَل أن يُدخل بنيه في التجارب، وفي هذا السياق يقول القدّيس يعقوب في رسالته: «لا يقولنّ أحدٌ، إذا ما جُرّب: «إنّما الله يجرّبني». فإنّ الله غير مجرَّبٍ بالشرور، وهو لا يجرّب أحدًا. بل كلّ واحدٍ تجرّبه شهوته الخاصّة، إذ تجتذبه وتغويه. ثمّ الشهوة إذا ما حبلت تلد الخطيئة، والخطيئة إذا ما تمّت تنتج الموت».

الله، إذن، لا يشدّ أحدًا نحو الشرّ. بل الشيطان هو الذي يجرّب، وميول الخطيئة فينا، هي التي تشدّنا نحو الشرّ.

قد يمتحننا الله، كي يقوّينا، ويطهّرنا. ولكنّ قوى الشرّ تنتهز هذه المِحَن كي تغوينا، وتحوّل المحنة إلى صراعٍ خطر. والخطر يكمن في أن يصبح الممتَحَن ضحيّة قوى الظلام، فيلقي سلاحه، ويدع قلبه يُسلب، و«يدخل في التجربة»، وينزلق إليها.

كلّ تجربةٍ امتحان، ولكن ليس كلّ امتحانٍ تجربة. الامحتان من عمل الله، والتجربة تأتي منّا، من تواطئنا مع قوى الخطيئة. ولذلك نسأل الآب: إن شئت امتحنّي، ولكن لا تسمح بأن تنقلب المحنة تجربةً وغواية. إنّك تشهد هذا القطاع من ذاتي الذي ما زال يُفتتن بسواك، ولا يحبّك، بعد، بقدر ما تحبّني أنت. أبتاه، ارأف بضعفي ... ولكن إن عرَّضتني للصراع القاسي، فأقلّه، لا تدعني أُنكرك، وأيّدني بإزرك، واحمِني من أن تنقلب التجربة، لي، سببًا للخطيئة.

قد نعزو إلى وهننا الفطريّ، وميولنا الطبيعيّة، انزلاقنا إلى غواية الخطيئة. ولكن لا يغربنّ عن بالنا أنّ تهاوننا مع هذا الوهن، وهذه الميول، هو الذي يعرّضنا لمزيدٍ من الكبوات، في حين أنّ مقاومتنا العنيدة لها هي التي تزوّدنا بالمناعة في مقاومتها. وكلّ كبوةٍ ننزلق إليها تُدوَّن، بعمق، في

فكرنا، وإحساسنا، وذاكرتنا، بحيث تنشأ منها عاداتٌ ضاغطةٌ تحكم سلوكنا. إنّ للشرّ، مثلما للخير، منطقًا لا يرحم. وإن نحن شكونا من قسوة التجارب، فلنعترف بأنّنا، إلى حدٍّ كبيرٍ، صانعوها.

إنّ إبليس يتربّص بنا في البحبوحة التي قد تفسدنا، وفي الشدّة الكفيلة بتحطيم طاقات قلوبنا. والبشريّة ممزّقة، أبدًا، بين اليُسر والحرمان. وأيّة فريسةٍ لإبليس كلّ يوم!

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

وقد يستخدم الشرّير محيطنا، والمحيقين بنا، كي يجرّبنا ويغوينا. فلولا وسوسة حوّاء، لما سقط آدم.

ليست التجربة، في ذاتها، سيّئة، فهي شيءٌ، والوقوع في شركها شيءٌ آخر. وقد جرّب إبليسُ يسوعَ نفسه، ولكنّه فشل أمام ثباته. ونحن أيضًا، إن استسلمنا لميولنا، وشهواتنا، بتنا فريسةً سهلةً بين براثن المجرّب. ولكن إن التمسنا مؤازرة الربّ، وقاومنا التجارب بثبات، وبقوّة نعمته، أمست لنا وسيلةً شديدة الجدوى للتقرّب من الله والنموّ في القداسة. وقد قال شارل جورنيه، في هذا السياق: «من بَعد الله، لم يُسهم أحدٌ في قداسة أيّوب، مثلما فعل الشيطان، ولم يأبَ له أحدٌ هذه القداسة بقدر ما أباها الشيطان».

التجربة نتيجةٌ حتميّةٌ للخطيئة الأصليّة، وطالما ظللنا، على الأرض، أسرى أجسادنا، فلا مفرّ لنا من التعرّض لها. ولذلك لا نسأل الله أن يعفينا منها، بل ألاّ يدعنا وحيدين في مواجهتها، وأن يساندنا بنعمته وإزره، كي يقينا من السقوط في حبائلها. إنّ التجربة التي يتمّ دحرها كالبوتقة للذهب، تصفّيه من شوائبه. ونحن، بظهورنا على التجربة، نكتسب منعةً، ومراسًا، وفضيلةً، ونصبح أبناء الله، حقًّا.

كلّ شيءٍ فينا، ومن حولنا، يحفزنا إلى التحوّل عن الله، صوب الامتلاك، والانكفاء على الذات. وبما أنّنا «من تحت»، فكلّ شيءٍ لنا

مناسبة تجربة. ولكنّ إيماننا يدعونا إلى إيثار اللّه، والاستسلام لـه، والانفتاح والبذل، فلتكن التجربة لنا فرصةً كي نثبت أنّنا نفضّل اللّه على كلّ ما سواه، ونثق فيه ثقةً مطلقة، ونسلم إلى عنايته أَمرنا، ونبرهن على تجاوزنا حدود الأنانيّة الضيّقة، وانفتاحنا على رحاب المحبّة.

قد يسمح اللّه بامتحاننا، ولكنّ الرسول بولس يقول: «إنّ اللّه أمين، فلا يدعكم تُجرَّبون فوق طاقتكم، بل يجعل لكم مع التجربة مخرجًا، لتستطيعوا احتمالها» (١ كورنثس، ١٠: ١٣) ولكنّ اللّه لا يخلّصنا بمعزلٍ عن إرادتنا ومساهمتنا، ولذلك يهيب بنا أن «اسهروا وصلّوا»، لكيلا تباغتكم التجربة.

إنّنا، أبدًا، ممزَّقون بين ملكوتين، ونتذوّقهما كلّ يوم، لكي نختار مصيرنا الأبديّ بوعيٍ وحرّيّة.

جهنّم والسماء موجودتان في نفوسنا، ولا وجود لهما إلاّ فيها. وهما أكثر روعةً وترويعًا ممّا تُصَوّرَان.

فالسماء هي عملنا بمشيئة اللّه، وجهنّم مريعة لأنّها حرمانٌ من الخير الأعظم الذي صُنعنا من أجله، وهو اللّه.

وحده، تواضعٌ جمٌّ يتيح لنا تسخير التجارب للتقرّب من اللّه، ولتكثيف حميميّتنا معه، ولسبر عمق حبّه لنا. ولكنّ اللّه لا يُكرهنا على حبّه. فإذا ابتغينا السماء علينا اختيار الشخوص إليها، ولكي نسعد فيها يجب ان نرغب في الحبّ. فكلٌّ منّا ينتهي إلى حيث كان حبّه. من أحبّ مُتَع الأرض سيُتخَم بها حتّى القرف، ومن أحبّ اللّه، سيسعد به إلى ما لا نهاية، ومن أحبّ إخوته قاسمهم كلّ أفراحهم. يسوع هو ضمانتنا ضدّ الوقوع في التجربة. مرتا قالت له: «لو كنتَ ههنا، لما مات أخي». فردّ: «أنا القيامة والحياة. من آمن بي، وإن ماتَ فسيحيا».

ومن ثمّ، فهذه الطلبة تعني: «أبانا، لا تسمح أن تتغلّب علينا تجارب

لا نقوى على مواجهتها بمفردنا، بل أيّدنا بإزرك لكي لا نقع في شباكها، وابقَ إلى جانبنا».

ومن البَدَهي أن نضيف: «ونجّنا من الشرّير»، ومن كلّ أصناف الشرور التي تغمر، كالسيل الجارف، أرضنا.

نجّنا من الخطيئة، فهي شرّ الشرور، ومن كلّ شرٍّ روحيّ.

نجّنا من مخالفة مشيئتك، ومن الازراء بدعوتك إلى الكمال.

نجّنا من القنوط والكبرياء عندما نسقط. فكلٌّ منّا معرَّض لأخطاء الوهن. ولكنّ المتواضع يستخدم هذه الأخطاء كي يلتمس عطف الله وصفحه، وبذلك يزداد من الله تقرّبًا، إلاّ أنّ أخطاء الوهن هذه قد تنقلب لدى المتكبّر أخطاء خبثٍ، وشرّ، لأنّه يواصل، عمدًا، ارتكاب ما كان قد بدأ يرتكبه سهوًا.

نجّنا من انكفائنا على ذواتنا، خشية الانفتاح على الغير وما يقتضيه من تضحيات، وتعرُّضٍ للجراح.

نجّنا من كلّ شرٍّ يمسخ وجه الحياة، ومن اليأس في مواجهة العذاب الناشب بأحبّائنا، ولا نقوى على معالجته، والظلم الذي يُلحقه البشرُ بالبشر، والعذابات المبرّحة التي يسومونهم إيّاها. نجّنا من القلق الذي يحطّم نفوسنا، فالمستقبل يبدو لنا رهيبًا، وحتّى الصلاة التي لقّنتَناها والتي نستهلّها بلفظة «أبانا» العذبة، نختتمها بلفظة «الشرّير» التي تختزل كلّ قلقنا وهواجسنا.

نجّنا من استمراء اليسر والخطيئة، الذي يجعل حتّى تلاوتنا للصلاة التي علّمتنا نافلةً، عديمة الجدوى.

نجّنا من الشرّ القابع في طوايا كياننا وفي ثنايا خلايانا، فأنت عالمٌ بأنّ الشريعة المدوّنة في أعضائنا تعارض شريعتك، وتجعل إنساننا الجسديّ يصارع، في كلّ لحظة، إنساننا الروحيّ.

نجّنا من أمير هذا العالم، الذي يحاصرنا بلا هوادة، لأنّك، أنت وحدك، غلبت العالم.

مجد الله

المسيحيّون الأوّلون كانوا يُلحقون بصلاة «أبانا» هذه العبارة: «لأنّ لك الملك، والقدرة والمجد، في جميع الدهور». هذه العبارة مثقلةٌ بتأثّرهم، وفرحهم، ومشاعرهم الخفّاقة بتلاوة هذه الصلاة.

قال القدّيس إيريناوس، أسقف ليون: «مجد الله هو الإنسان الحيّ». والمجد هو تألّق حبّ الآب وقداسته، وحضوره الذي يغمر البشر. ولكن علينا أن نسهم في هذا المجد عينه، فيسوع نفسه قد قال: «إذا أتيتم بثمرٍ كثيرٍ تمجّد، بذلك، أبي، وكنتم تلاميذي» (يوحنّا ١٥: ٨)

والإنسان الحيّ الذي يؤتي ثمرًا وفيرًا هو من غدت صلاة «أبانا» هي تنفّسه؛ هو الذي، بكلّ وجوده المتحوّل نحو الله، لايني يحدّث الآب عن اسمه، وملكه، ومشيئته المقدّسة، ويلتمس رحمته حيال الشرّ الذي يغمر العالم.

لقد علّمنا يسوع محاورة الله. وقال باسكال في هذا السياق: «بمنأى عن يسوع المسيح نحن لا نعلم ما هي حياتنا، ولا ما هو موتنا، ولا نعرف الله، ولا نعرف ذواتنا».

عندما نتلو «أبانا»، في سرّنا، أو مشاركين إخوةً لنا، نعلن إيماننا بوجود الله، ونتبيّن وجهه، ونعقد معه علاقاتٍ مباشرة، ونعترف به أبًا رؤوفًا. وهذا الأب يريدنا ناضجين، مساهمين في عمله، وفي صنع التاريخ. نحن نتطلّع إلى السماء، والسماء تجيبنا بأنّها في حاجةٍ إلينا.

نلتمس إزر أبينا كي يشركنا بحياته، ويبثّنا حبّه، ويدعونا إلى استغلال أقصى طاقاتنا، لكي نحقّق ذواتنا ونكون أبناء جديرين بأبٍ سماويّ، منفّذين مشيئته، مرسّخين ملكوته.

عندما نتلو «أبانا»، يسوع هو الذي يصلّي فينا.

طلبات «أبانا»، كلّما رفعناها إلى الآب بثقة، هي التي تصوغنا، شيئًا فشيئًا، جسدًا وروحًا. الذين تملّوا بروح «أبانا» يتحرّرون ويحرّرون الآخرين من الأسقام الناشبة بالأفكار والقلوب والأجساد. التحرير يتحقّق فيهم وبهم. وهم يحيون هذا اليقين بقدر ما يحيون بمن قهر الموت.

من يتلُ «أبانا» كما شاء يسوع أن نتلوها، يصبح «الإنسان الحيّ»، «مجد الله».

-٣-

صلاة

-٣-

صلاة

شكرًا، يا يسوع، لأنّك ساويتَنا بك، وأتحتَ لنا أن نخاطب أباك، مخاطبة الأبناء لآبائهم. ساويتنا بك، فأوليتنا امتياز البنوّة الإلهيّة السامية، وَحَّدتَ البشر أجمعين بوثاق أخوّةٍ شاملة أنت جوهره ورباطه.

ويا أبانا السماويّ،

رسّخ فينا هذا الشعور الأخّاذ بأبوّتك، واشحذه، فنتوجّه إليك بالدعاء، مثلما يتوّجه ابنٌ بارٌّ إلى أبٍ حنون، في ثقةٍ، وطمأنينةٍ، وإيمانٍ مطلق.

وساعدنا كي نكون جديرين ببنوّتك، فنسلك سلوك أبناء مخلصين حيال أبٍ محبّ كريم.

وأهّلنا، أيضًا، لتلك الأُخوّة الكونيّة الرائعة، فيحبّ كلٌّ منّا لأخيه ما يحبّ لذاته، ، ويأبى أن يكون أيٌّ من إخوته، حيثما وُجد، مظلومًا، أو مرذولاً، أو مقهورًا.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

ولقد ذكّرتنا، يا يسوع، بأنّ أباك الذي أشركتنا في أُبوّته، هو أبٌ سماويّ، سامٍ، كلّيّ القدرة، أزليّ، لا يموت ولا يزول، كما يموت ويزول آباؤنا الأرضيّون. وبذلك وطّدت، في أذهاننا، حقيقة أنّ وطننا الحقيقيّ

الدائم، هو حيثُ موطن أبيك الخالد، لا في هذه الدنيا التي علينا أن نزهد بحطامها، وغواياتها، وألاّ ننهار أَو نقنط، في مواجهة مظالمها، وقسوتها، وخيبات أَملها.

فأحلّ، يا أبانا، منذ الآن، على الأرض، روحك القدّوس، واغمر به نفوس جميع أبنائك، إخوة يسوع، كي يباركوك، ويحبّوك، ويشيدوا بمجدك، ويقدّسوا اسمك. فاسمك هو رمز عزّتك، وجلالك، وقدرتك الكلّيّة. وهو لقبنا، بما أنّك أبٌ لنا. إنّه اللقب الذي نفخر به، وفي سبيل مجده وتألّقه، نربأ بأنفسنا عن كلّ معصيةٍ تغضبك، وعن كلّ شائنةٍ تدنّس قدسيّة نَسَبنا الإلهيّ. إنّ تقديسنا لاسمك هو تقديسٌ لذواتنا، وللبشريّة جمعاء. فاجعل كلّ سلوكنا تقديسًا لاسمك، وتحريضًا للآخرين على تقديسه.

وأَقِرَّ على الأرض، يا أبانا، ملكوتك، كي تسود عالَمَنا روحُك وسُننُك، ويندثر ملكوت عدوّك وعدوّنا، إبليس، الذي يجهد، لاهثًا، في إقصائنا عنك، وانتزاعنا من أحضانك. فرحماك، يا أبتاه، أنت العليم بوهننا، وبدهاء عدوّنا، وبمخاطر حبائله الخبيثة علينا، بدّد ملكه وسيطرته على البشر الذين افتداهم ابنك يسوع، كي يكونوا لك وحدك، لعلّ أرضنا تصبح ملكوتًا صرفًا لك، يسبّح بمجدك، ويدين بطاعتك وحبّك، وتسود فيه مشيئتك، مشيئة الأب الذي لا يبتغي سوى خير أبنائه، وإن هم، من جرّاء حُسر بصرهم، لم يدركوا هذه الحقيقة.

غالبًا ما تغشى أهواؤنا على بصيرتنا، وتضلّل إرادتنا، فتدفعها في شعاب مهالك مميتة. فاحمِنا، يا أبانا، من ذواتنا، ونوازعنا الشرّيرة، فلا نلتمس سوى مشيئتك، موقنين أنّ فيها، وحدها، خلاصنا، وأنّنا، بانقيادنا لها، نعبّر لك عن ولاء أبناءٍ لأب يبادلونه الحبّ والثقة.

وساعدنا، لعلّنا بالعمل بمشيئتك، وبإسهامنا في ترسيخ ملكوتك، وبتقديسنا اسمك، وحملنا جميع إخوتنا على تقديسه، نحوّل أرضنا سماءً تدين بطاعتك وحبّك، وتشيد بتسبيحك.

وأنت، أبانا وخالقنا، ومالك كلّ شيء، لقد جئت بنا إلى الوجود، فهبنا مقوّمات الحياة.

هبنا قوّة الجسد، وعلّمنا الاكتفاء بما يلزمنا ليومنا الحاضر، واحمِنا من القلق على قوت الغد، ومن هوَس التخزين للمستقبل الكفيل بتحويلنا عنك، وبإيهامنا أنّ كنوزنا المكدّسة تغنينا عن تدخّلك اليوميّ لإبقائنا على قيد الحياة.

لا ريب أنّك تهبنا الصحّة والقوّة كي نجهد في سبيل كسب عيشنا بعرق جبيننا، ولكي نشكرك، كلّ يوم، على مواهب الحياة والصحّة، والخبز، ونستبقي من وقتنا وعزيمتنا ما يؤهّلنا لالتماس برّك وملكوتك، بالأساليب التي توحيها لكلٍّ منّا.

عندما نقول «أعطِنا خبزنا، كفاف يومنا»، فإنّما نحن ندعو باسم جميع إخوتنا البشر، ونحن عالمون أنّ كثيرين منهم، من جرّاء افتقارهم إلى الصحّة والقوّة، أو بسبب ظلم مجتمعنا وأنانيّته، يفتقرون إلى العمل الذي يوفّر لهم الكرامة، وإلى الخبز وأوَد العيش، فاستخدمنا لإطعامهم، واجعل منّا قلبك الذي يحنو ويعطف، ويدك التي تسخو وتغدق، وإرادتك الحريصة على إعادة الكرامة لكلّ من حُرم منها.

وأعطِنا، بلا حدودٍ ولا تقتير، غذاء نفوسنا. فكم نحن في حاجةٍ إلى الكثير منه لكي نستأهل أن نكون لك أبناء بررة، وليسوع إخوةً أوفياء، وللملكوت ضيوفًا مرتدين حلّة العرس، أي القداسة التي دعانا إليها ابنك!

أعطِنا، إذن، أن نتملّى من كلّ كلمةٍ من كلماتك، فهي كفيلةٌ بتسريب العافية إلى أرواحنا، وبجعلنا نلتزم إرادتك، فهي غذاء نفوسنا، كما كانت غذاء يسوع. واجعل المائدة التي تركها لنا يسوع مفتوحة أبدًا، تقدمة جسده ودمه التي تتكرّر، في كلّ لحظة، على شتّى هياكل العالم، مصدرًا

لقداستنا، ومنعتنا، وتطهّرنا، وتحرّرنا من ربقة الخطيئة، ومن أسر الغرائز والأهواء، ومعينَ حياةٍ أبديّة.

واغفر لنا خطايانا، وسامحنا بديوننا، لا «كما» نحن نغفر ونسامح، بل كما أَنت تُسرف في الغفران والمسامحة، إذ إنّنا قد امتثلنا لمشيئتك، وصفحنا لإخوتنا إساءاتهم، وسامحناهم بديونهم. فقد علّمنا ابنك أن صفحنا وغفراننا هما شرطٌ لا مهرب منه كي ننال صفحك.

ولكن شتّان بين مسامحتنا ومسامحتك، وبين صفحنا وصفحك! إنّ إساءات الآخرين لنا، وديونهم تجاهنا، من الضآلة بحيث لا تستحقّ الذكر. أمّا ديوننا تجاهك، الناجمة عن نكراننا لجمائلك المستمرّة، وسخائك اللامحدود الذي تغمرنا به في كلّ لحظة، فمن الجسامة بحيث لا يقدم على المسامحة بها سوى إلهٍ جوهرهُ العطف. فاصفح عنّا، وسامحنا كما أنت وحدك تعرف الصفح والمسامحة، لا كما نحن نصفح، متعثّرين، بتحفّظٍ وتقتير.

إنّ كلّ يومٍ من أيّام حياتنا يضيف إلى ديوننا تجاهك، دينًا جديدًا، دين خطايانا، ودين صفحك اللامحدود. ولا رجاء لنا سوى رحمتك التي لا تنضب.

غفرانك هو أعظم ما نستطيع التماسه منك في حياتنا الخاصّة. فخطايانا المتواترة، هي أشدّ الأعباء إرهاقًا لنفوسنا. ولطالما خَبَرنا عجزنا عن التخفّف من هذا العبء بوسائلنا الخاصّة، وتبيّنّا أنّك الطبيب الأوحد الذي ينحني على جراحنا، ويضمّدها برقّةٍ متناهية، ولا يكفّ عن تطهيرنا وشفائنا.

لذلك لا نسألك أن تصفح عنّا «كما نحن نصفح»، بل أن تعلّمنا الصفح، كي نصفح نحن مثلك سبعين مرَّة سبع مرّات كلّ يوم، فنستحقّ غفرانك.

«ولا تتخلَّ عنّا في التجارب». فنحن نؤمن أنّك لا تدفعنا إلاّ في سبُل

الخير؛ ولكنّك قد تسمح بأن يجرّبنا عدوّك وعدوّنا، فالتجربة، إن قاومناها، كفيلةٌ بمنحنا قوّةً وصمودًا. ولكنّ الشرّير من القدرة والمكر والخبث، ونحن من الوهن، بحيث كثيرًا ما يغلبنا بإغوائه. ولذلك نسألك ألاّ تدعنا وحيدين في مواجهته، بل ابقَ إلى جانبنا، وساندنا، وآزرنا «ونجّنا من الشرّير»، لئلاّ نقع في شباكه. واحمِنا، خاصّة، من محاولاته الخبيثة للقضاء على إيماننا بك، أو لزعزعته وإضعافه، فهذا أسوأ شرّ قد يبلونا به.

إنّنا لا نريد أبًا أو إلهًا سواك، ولا نبتغي إلاّ الحياة فيك، ومنك، ولك، وحدك، فكن، في كلّ لحظةٍ، معنا، كي تمكّننا على ردّ هجمات الشرّير، الذي لا همّ له سوى إقصائنا عنك.

- ٤ -

«أَبانا»

- ٤ -

«أَبانا»

(من قصيدة لشارل بيغي)

(يقول الربّ):

ابني هو الذي أَدخل إلى السماء،

بعضَ طعم البشر، وبعض طعم الأرض،

بهذه الكلمات الثلاث أو الأَربع: «أَبانا الذي في السماوات».

لقد أقام بين البشر وبيني حاجزًا لن يقوى غضبي، بل لن يقوى عدلي، على اجتيازه.

هنيئًا لمن ينام، وقد قامت على حراسته مسيرة هذه الكلمات الثلاث أو الأربع،

فهي تسير أمام كلّ صلاة كيَدَيْ متوسِّلٍ أمام وجهه.

هذه الكلمات الثلاث أو الأَربع تغلبني، أنا الذي لا يُغلَب.

فكيف تريدونني، بعد الآن، أن أَدينهم؟

«أَبانا الذي في السماوات»،

كم كان ابني حاذقًا في تعليمهم هذه الصلاة التي قيّد بها ذراعَيْ عدلي، وحرّر ذراعَيْ رحمتي.

فعليّ، الآن، أن أدين، كأبٍ،
على نحو ما يستطيع أبٌ أن يدين: «كان لأبٍ ابنان ...»
معروفٌ كيف حاكم الأب الابنَ الذي كان قد رحل، ثمّ عاد،
فقد كان الأب هو الأكثر بكاءً.
هذا ما أخبرهم به ابني، وهكذا باح لهم بسرّ الدينونة نفسها.
قال: «أبانا»، كرجلٍ يلقي على كتفيه معطفًا كبيرًا،
التفت نحوي، وتلفّع به،
وألقى على كتفيه معطف خطايا البشر.
وغدا الخاطئ يتوارى خلفه، عن وجهي ..
هكذا عليّ أن أراهم.

الفهرس

مقدّمة	٧
– ١ – الصلاة التي لقّنها يسوع	٩
– ٢ – أبانا...	١٥
– ٣ – صلاة	٥٧
– ٤ – «أبانا»	٦٥

ظهر من سلسلة «صفحات روحيّة»

١ – م. يوسف الكلاّس: على دروب الإنجيل
٢ – ماري – تريز دو ماليسي: صلاة على مدى ١٥ يومًا...
٣ – أ. إميل الحاجّ البولسيّ: قصص تأمّليّة (١)
٤ – أ. إميل الحاجّ البولسيّ: قصص تأمّليّة (٢)
٥ – أ. إميل الحاجّ البولسيّ: قصص تأمّليّة (٣)
٦ – أ. غَرِديّ الدومنيكيّ/ أ. باسيليوس بريدي: مقام الروح القدس في الحياة المسيحيّة
٧ – أ. جوزيف شريفرز/ جورج الريّس: بذل الذات
٨ – أ. باسيليوس بريدي البولسيّ: عظات في التطويبات ومريم العذراء
٩ – م. كيرلّس بسترس: تأمّلات في إنجيل ربّنا يسوع المسيح
١٠ – هنري كافاريل/ جورج عازار: الصلاة لقاء مع اللّه
١١ – أ. بيتر فان بريمن/ أ. وفيق نصري اليسوعيّ: كالخبز الذي كُسِر
١٢ – أندريه لوفيه/ أ. الياس زحلاوي: هروبي الأخير مع يسوع المسيح
١٣ – عادل تيودور خوري مع يسوع المسيح في لقاءاته
١٤ – رينهارد لتمان/ عادل تيودور خوري: من حصاد المطالعة
١٥ – الخوري بولس الفغالي: إرفعوا الكِسَر
١٦ – كرت رومل/ حنّا شوملي: أبانا الذي في السماوات
١٧ – م. يوسف الكلاّس: من وحي الإنجيل
١٨ – م. سليم الصائغ: الصلاة بالروح والحقّ (١)
١٩ – م. سليم الصائغ: الصلاة بالروح والحقّ (٢)
٢٠ – هنري كافاريل/ أ. أنطوان نصر: «لا تخفْ أن تأخذ مريم زوجةً لك»
٢١ – م. سليم الصائغ: يسوع خبز الحياة (١)
٢٢ – م. سليم الصائغ: يسوع خبز الحياة (٢)
٢٣ – الكردينال مارتيني/ أ. مارون اللحّام: اللّه يكفيني
٢٤ – ترجمة المعهد الإكليريكيّ في بيت جالا: القراءة الربّانيّة
٢٥ – ترجمة المعهد الإكليريكيّ في بيت جالا: مقالات في الدعوة الكهنوتيّة والرهبانيّة

ظهر للمؤلِّف

– **قدّيسة من بلادنا: الطوباويّة الأخت مريم يسوع المصلوب** (سلسلة دراسات كرمليّة)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **١٩٩٠**

– **السياسيّ القدّيس المهاتما غاندي** (سلسلة النوابغ)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **١٩٩٢**

– **فرنسيس... أَصلحْ كنيستي** (سلسلة النوابغ)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **١٩٩٤**

– **صوتُ مَن لا صوت لهم – الأب بيير** (سلسلة النوابغ)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **١٩٩٧**

– **حتّى يوجع العطاء: الأمّ تيريزا الكلكتّاويّة** (سلسلة النوابغ)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **١٩٩٨**

– **أنا، الأخت إيمّانويل، أَشهد...** (سلسلة النوابغ)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **١٩٩٩**

– **بولس، رسول يسوع، وقلبه، ولسانه** (سلسلة النوابغ)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **٢٠٠٣**

– **جان ڤانييه وسفينته** (سلسلة النوابغ)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **٢٠٠٣**

كتب مترجمة

– **على درب الحياة مع ألكسي كاريل**، دمشق، ١٩٨٤، (طبعة ثانية ٢٠٠٠)

– **يد الله** (سلسلة الشهود)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **١٩٨٨**

– **ثلاث عشرة قصّة** (سلسلة الوداع)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **١٩٩٠**

– **أَيدٍ ملطّخةٍ بالدَّم** (سلسلة الوداع)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **١٩٩٥**

– **أُذكروا الله: تأَمُّلات من وحي رسائل الصوفانيَّة**، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **١٩٩٥**

– **سيرة المسيح** (سلسلة النوابغ)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، **٢٠٠٣**

– **حدِّثني عن الحبّ** (سلسلة الشباب مستقبل الغد)، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، (طبعة ثالثة **٢٠٠٥**)

أنجزت المطبعة البولسيّة، جونيه – لبنان
طبع هذا الكتاب في أيلول سنة **٢٠٠٥**